حِوَار شيّق حَول دَلائل الإمَامة مِن الكِتاب الكَريم

(حِوار زيَدي - جَعفري) وَهُو ثلاثة أقسَام :

- القسم الأول : مناقشة دلالة بعض الآيات القرآنية على نظرية النص الجعفري .
- القسم الثاني : مناقشة بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على اتباع أشخاص منصوص عليهم .
- القسم الثالث : مناقشة بعض ما جاء في المبحث السابق حول اصطفاء الله تعالى لأهل البيت من القرآن الكريم .

الكاظم الزيدي

حوار شيّق حول دلائل الإمَامة من الكِتَاب الكَريم

(حوار زيدي – جعفري) وهو ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مُناقشَة دلالة بعض الآيات القرآنية على نظرية النص الجعفري .

القسم الثاني: مُناقشة دلالة بعض أحاديث الرسول ﷺ على اتّبَاع أشخاص منصوص عليهم .

القسم الثالث: مُناقشَة بعض ما جاء في المبحث السابق حول اصطفاء الله تعالى لأهل البيت من القرآن الكريم .

الكاظم الزيدي

حوار شيّق حول دلائل الإمَامَة من الكِتَاب الكَريم، وهُو مُكمّلٌ للحوار السّابق

[القسم الأول: مُناقشَة دلالة بعض الآيات القرآنية على نظرية النص الجعفري]:

[مُناقشَة قول الله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ))] :

إن قيل: قالتَ الزيدية أنّ الإمامة بعد أبي عبدالله الحسين بن علي (ع)، لم يثبُت فيها نصّ على أفراد بأسماءهِم ورُسومِهم، كما ادّعت الإمامية، وهذا يُعارِضُ كتاب الله تعالى قلباً وقالباً، فالكتاب أخبرَ وخاطبَ أمّة محمد ﷺ، بما يُفهم منه وجود أشخاصٍ منصوص عليهِم، ومن هذه الآيات، قول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة:١١٩]، وإرشاده جل جلاله بالكَون مَع الصّادقين مُطلق، فيفيد استمرَارية كَونهم كَذلك، ولا أحَد مِن غير المَنصوص على صِدقه مِن الله عز وجل يُقطع باستمرارية صدقه ، فيتعين النصّ على مُستمِرّ الصدق من الله عز وجل، وهو الإمام .

قلنا: قد تفهّمنا موضع الاعتراض، فتفهّم هدانَا الله وإيّاك الجواب، وهو ما نوردهُ من عدّة توضيحَات

التّوضيح الأوّل : بيان سبب نزول الآيَة:

سياق الكلام في هذه الآية كان داخلاً ضمن قصّة الثلاثة المُتخلّفين عن الرّسول ﷺ في غزو تبوك، وفي ذلك يقول جلّ شأنه: ﴿ **وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ * مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ**

فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [التوبة:١١٨-١٢٠] . وفي قول الله جلّ شأنه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾، خطابٌ عام للمؤمنين، فيه يُحذّرُهم من الوقوع فيما وقعَ فيه الثلاثة (كعبُ بن مالِك، وهلال بن أميّة، ومرارة بن رّبيعة)، من التعلّل بالأعذار الواهية لعدم الخروج، وأنّ سبب هذا إنّما هو قلّة التقوى، وفيه يطْلبُ الله من المؤمنين التّقوى، والخشيَة منَ الله حقّ الخشية، فالله عالمٌ بما تُخفي وتُبدي الصدور، ثمّ يأمرُ الله تعالى المؤمنين بأن يكونوا مع الذين صَدقوا الله ما عاهدوهُ وعاهدوا رسولَه ﷺ عليه، أي كونوا مِن الصّادقين غير المُبدلّين لما عاهدوا الله عليه، المُتّقين الله حقّ تُقاته .

التّوضيح الثّاني : بيان معنى قول الله تعالى: ﴿وكونوا معَ الصادقين﴾:

في هذه الآيَة يحثّ الله المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين المُوفين بعهد الله وعهد الرّسول ﷺ، ومعنى قوله: ﴿مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، أي ﴿ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾، فـ ﴿معَ﴾هُنا، أتَت بمعنى ﴿مِنَ﴾، وساعدَها على ذلك السّياق، إذ أنّ معنى السياق لن يتعارضَ إن كانَت الآيَة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، لأنّ المُوصّى به من قِبل الله تعالى هُو الإخلاص والصّدق في النصرة والاتّباع والإيمان، وهذا المعنى مُتحقّق في آية التوبة، إذا أتت (مع) بمعنى (مِن)، أو أتت (مع) بمعنى المُصاحبَة، وعليه فما ذهبتَ إليه أخي الجعفري من أنّ هُناك خصوصيّة لأشخاص مُعيّنين بأسمائهم ورسومهم (وهم أئمة الجعفرية) دون غيرهِم، نعم ! ما ذَهبتَ إليه مُنتفٍ تماماً، إذ أنّ الآية بمعنى (مِن الصّادقين)، تُوضّح الآيَة بمعنى (مَع الصّادقين)، فتنفي الخصوصيّة الجعفرية لهؤلاء الصادقين، وتجعلُ المعنى: يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله وكونوا مع الصّادقين، أي منهُم ومِثلَهُم، أو كونوا صادقين مثلَهُم، وأنتُم فمتى كنتم صادقين، كنتُم من الصّادقين، ومتى كنتُم من الصّادقين، كنتُم مع الصّادقين، فمعَ النّاس ومنهُم معنيان لا يتَنافيان إذا استحكمَ

الخِطاب، ومُرادُنا باستحكام الخطاب هُو التماثُل في حال مَن هُم مع النّاس، ومَن هُم مِنَ النّاس، كأن يكون الشخص مع الصّادقين من النّاس، وأن يكون الشخص من الصّادقين من النّاس، ومُرادنا بقولنا (إذا استحكم الخطاب) هُو تَماثُل الحال، إذ التماثُل في الحال شرطُ إتيان (مع) بمعنى (من)، وسنضربُ على هذا مثالين مُتضادّين، مثالٌ تكونُ فيه (مع) بمعنى (مِن) باستحكام الخِطاب (وهو تماثل الحال)، ومثالٌ لا تكون فيه (مع) بمعنى (مِن) .

* مثال أتت فيه (مَع) بمعنى (مِن):

حثّ الله سبحانه وتعالى المسلمين، أن يكونوا مع الصّادقين (فالصدق شرطٌ يجبُ انطباقه على الشّخص لكي تكون (معَ) بمعنى (مِن)، محمّدٌ من النّاس كان صادقاً مُجتهداً في الصلاح، ومنه فإنّه يصحّ أن نقول: محمّدٌ (مع) الصّادقين، لأنّ حالَهُ ماثَل حالَهُم، وحالَهُم ماثلَ حالَه، فاشتركوا في صفةٍ واحدة وهي الصّدق، فمحمّدٌ مع الصّادقين، وكذلك يصحّ لنا أن نقول: محمّدٌ (مِنَ الصّادقين)، لأنّه صادقٌ مِثلَهُم، فهو منهم، ومَعَهُم، فمحمّدُ (الصادق)، مع (الصّادقين)، ومحمدُ (الصادق) مِنَ الصّادقين، فهذان المعنيان، (محمد مع الصّادقين)، و (محمد من الصّادقين)، لهما معنىً واحِد . لأنّي متى كنتُ (صادقا) مُنتهجاً بنهج الجماعَة الصادقة المُخلصَة، فأنا (منهُم) بلا شكّ .

* مثالٌ أتت فيه (معَ) بغير معنى (مِن):

حثّ الله سبحانه وتعالى المسلمين، أن يكونوا صادقين، (فالصدق شرطٌ يجبُ انطباقه على الشّخص لكي تكون (معَ) بمعنى (مِن)، عمروٌ من النّاس كان كذاباً مُنافقاً، ومنهُ فإنّه يصحّ أن نقول: عمروٌ (مع) الصّادقين، بمعنى مُصاحبٌ لهم ومُخالطٌ لهم ومُعايشٌ لهم ومُرافقٌ لهم، ولا يصحّ لنا أن نقول عن عمرٍ الكذّاب أنّه (مِنَ) الصّادقين، لأنّ حالَهُ غايرَ حالَهُم، ولم يُماثِله، ألا ترى أنّه يصحّ لي أن أقول: «كُفّار قريش مع المؤمنين في مكة»، بمعنى

مُعايشين ومُصاحبين ومُرافقين، ولايصحّ لي أن أقول: «كُفّار قريش مِنَ المؤمنين»، لأنّ حال هؤلاء الكفّار ليسَ كحالِ المؤمنين، بل هُم مُتضادّين، وعليه فإنّ معنى (مع) في مثل هذا الموقف لا تَعني (من) .

إن قيل: فما ترمي إليه أيّها الزيدي بديباجتك الطويلة العريضَة التي خرجتَ منها بأنّ معنى قول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهّ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾، تأتي بمعنى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهّ وَكُونُواْ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾، أي أنّ (معَ)، في الآية تعني (مِن) !؟

قُلنا: ما نَرمي إليه، ونُريدُ إثباته، هُو نفي خصوصيّة حثّ الله تعالى في الآية بالكون مع ﴿**الصَّادِقِينَ** ﴾، نفي أن يكون تحت كلمة الصّادقين، أسماء معيّنة، محدّدة محدودة، (أئمة الجعفرية)، لأنّه متى صحّ أنّ (معَ) تأتي بمعنى (مِن)، وانطبقَ هذا على الآيَة، كان المعنى للآية بلاشكٍّ ولا ريب هو: يا أيها الذين آمنوا اتّقوا الله وكونوا مِن الصّادقين، أي كونوا مَثل الصّادقين، واعملوا بعملِهم الذي استحقّوا لأجله أن يكونوا من الصّادقين، لتكونوا مِنهُم ومَعهُم، نعم ! والخطاب القرآني موجّه لجميع أمّة محمد بن عبدالله ليكونوا أنْفسَهُم داخلين تحتَ مُسمّى (الصّادقين)، فيعملوا بأعمال الخير والصلاح والاجتهاد في إيثار جانب الله ورضاه على غيره من الجوانب، ألا ترى أخي في الله الجعفري أنّ الرّسول ﷺ خاطبَ أصحابَهُ بهذه الآية فقال لهم: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهّ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾، فكان على الصحابة أن يَمثلوا لأمرِ الله والرّسول ﷺ، وأن يعملوا أعمال الصلاح والفلاح ليكون من الصّادقين، فلمّا مات رسول الله ﷺ، اجتهدَ عمّار بن ياسر رضوان الله عليه في أعمال الصلاح، حتّى أصبحَ من الصّادقين، الذين ماتوا وهُم من دُعاة الجنّة، فعمّار بن ياسر من الصّادقين، والله ورسوله أمَرونا أن نكونَ مع الصّادقين، أي معَ (عمّار بن ياسر، وعلي بن أبي طالب وحزبهُم)، وأن نعملَ بعملِهم لنكونَ منهُم في صفة الصّدق، فجاء الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع)، فاجتهدُ

في أعمال العبادة والورع والزّهد فكـانَ مـن الصّـادقين، لأنّـه كـان صـادقاً مُخلصـاً، ومـعَ الصادقين (عمّار بن ياسر، وعلي بن أبي طالب، وحزبهُم)، لأنّه عمل بعملِهم الذي عملـوا واستحقوا لأجله أن يكونوا مع الصّادقين، اللهم صلّ على محمد وآل محمّد، أطَلنا فيما أمرهُ واضحٌ بإذن الله، وإن حصـلَ واشـتبهَ فحـوى كلامنـا (فنطلـبُ بعـد الوقـوف عـلى هـذا السّطر)، أن يُعيدَ القارئ قراءة هذه الجزئية من بدايتها، ونحنُ على ثقة أن أمـوراً ستتضـحّ وتنجلي له بإذن الله تعالى . خلاصة الإلزام: أنّ ما ذهبت إليه الجعفرية من أنّ (الصـادقين) في الآيَة تعني أئمّتهم (عدد محدود، أو نسل محدود)، باطل، لسببين مُتلازِمـين: الأوّل: أنّـه قد صحّ أنّ (مع) في الآيَة أتت بمعنى (مِـن) . والثـاني: أنّ الخطـاب الإلهـي كـان موجّهـاً لجميع الأمّة المحمديّة، دعوةً من الله تعالى للناس لأن يكونوا من الصّادقين في إخلاصـهم وعبادتهم لله وحده، فكثيرٌ من السّلف السابقين لنا قد دخلَ تحت معنى (الصادقين) الذين حثّنا الله على أن نكونَ معهم، فمنَ الصّادقين (بإذن الله تعالى)، علي، والحسـن، والحسـين، وعمّار بن ياسر، وحجر بن عدي، وأبو ذرّ، وعلي بن الحسين، وزيد بن عـلي، ومحمـد بـن عبدالله النفس الزكية، وجعفر الصادق، ... إلخ من الأولياء والصالحين، فهؤلاء أمرنا الله تعالى أن نكونَ معهم في صفة الصّلاح، وأن نكون منهُم بعمل الصّلاح .

إن قيل: قد أكثرتُم، وخُلاصَة كلامكم حول أنّ معنى (مع) في الآية هـي (مِـن)، فهـل سبقكم بهذا أحد ؟! .

قُلنا: نعم !، العَقل ، وعدم امتناع اللغة، وقول شيخكم الطبرسي الجعفري، في مجمـع البيان، الذي أتى بكلامٍ نفيس، حول هذا المعنى الذي استشكل عليكم أثَرُه، فقال الشـيخ الطبرسي في كتابه [مجمع البيان:٥/ ١٣٩]، مُفسّراً هذه الآيـة، [مـا بـين الأقـواس إضـافة منّا للبيان]:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾، القِراءة: فِي مُصحف عبـد الله،

وقراءة ابن عباس: (مِن الصادقين) ورُوِي ذلكَ عـن أبي عبـد الله عليـه السـلام، [أي أنّـه رُويَ عن الصادق مثل قراءة عبدالله بن مسـعود، وابـن عبّـاس (مـن الصّـادقين)]،.....، وقيل: المُراد بالصّادقين هُم الذين ذكَرهم الله في كتابـه وهـو قولـه: ﴿ **رِجَـالٌ صَـدَقُوا مَـا عَاهَدُوا اللهَّ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ** ﴾، يعني حمـزة بـن عبـد المطلـب، وجعفـر بـن أبي طالب، ومنهم مَن ينتظر، يعني علي بن أبي طالب عليـه السـلام. [تأمّـل عـلى ضـوء هـذه الرواية كيف أصبحَ من الصّادقين جعفر وحمزة وهم ليسـوا مـن أئمـة الجعفريـة]، وروى الكلبي: عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: كونـوا مـع الصـادقين، مـع عـلي وأصـحابه [وهُنا تأمّل كيف حثّ ابن عبّاس أن يكون المرء مع الصّادقين، فجعل الصّادقين هم عليّـاً وأصحابه شيعته، والشيعة ليسوا أئمة الجعفرية ومع ذلك لمّا صدقوا في متابعـة عـلي كـانوا مثله من الصادقين] . وروى جابر، عـن أبي جعفـر عليـه السـلام في قولـه (وكونـوا مـع الصادقين) قال. مع آل محمد ﷺ . وقيـل: مـع النبيـين والصـديقين في الجنـة بالعمـل الصالح في الدنيا، عن الضحاك. [وهنا تأمّل كيف أنّ الصـديقين والنبيـين دخلـوا تحـت مسمّى الصّادقين، والجعفرية فيخصّـون أئمّـتهم بالصّـادقين]، وقيـل: مـع محمـد ﷺ وأصحابه، عن نافع . وقيل: مع الـذين صـدقت نيـاتهم، واسـتقامت قلـوبهم وأعمالهـم، وخرجوا مع رسول الله ﷺ، ولم يتخلفوا عنه، عـن ابـن عبـاس [تأمّـل] . وقيـل: ان معنى (مع) هنا معنى (من) فكأنه أمر بالكون من جملة الصادقين، ويعضده قراءة مـن قـرأ (من الصادقين)، [تأمّل عدم إنكار الشيخ الطّبرسي تقارب المعنى، فكلامُـه هُنـا هُـو عـينُ كلامنا السابق، فقال:] والمعنيان متقاربان هنا، لأن (مع) للمصاحبة، و (مـن) للتبعـيض، فإذا كان من جملتهم، فهو معهم وبعضهم [أي فهو مَعهُم ومنهُم] » ، اهـ كلامه .

خُلاصَة الخُلاصَة:

على ضوء الآيَة، مَن ذهبَ إلى تخصيص الصّادقين، بأشخاص وأسماء معلومـة محـددة

محـدودة، فقـد استمسَـكَ بغـيرِ مُستمسَـك، وأفـرطَ في الاسـتدَلال بـها لازمـهُ القَطـع ، فالصّادقون كلمةٌ دخلَ تحتَها جماعات من السّابقين (من شتّى القبائل والأجنـاس، بشرـط انطباق صفة الصّدق عليهم)، والصّادقين كلمة سيدخُل تحتها مُستقبلاً، وإلى يوم القيامـة، (جماعاتٌ تجتهدُ في الالتزام بمنهج محمد بن عبدالله ﷺ بحذافيره)، فالاحتجاج علينـا بأنّ هذه الآيَة تعني النّص على أشخاصٍ بعينهم محدودين لا يَدخلُ معهم سـواهم باطـل، نعم ! وذيلُ الإشكال في الأصل الذي طرحَتهُ أخي الجعفـري مـن اسـتمرارية الصّـدق في الصّادقين، فد أُسقِط بإثبات أنّ الصادقين جماعات من السـابقين، وجماعـاتٌ مـن الآتـين، ضابطهُ أن يكونوا من الصّادقين، أن يفعلوا بأفعال الكتاب والسنّة المحمدية، وأن يلتزمـوا بمذهب أهل البيت (ع) ، سادات بني الحسَن والحُسين .

[مُناقشات زيدية جعفرية جانبية هامّة حول قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

[مُناقشَة المسألَة من حيث مَعاني الإطلاق المُطلق للصفات في القرآن الكريم] :

سبقَ وأنّ قرّرنا أنّ آيات القرآن الكريم منها العامّ والخاصّ، وخُصوصيّة الخاصّ يُخصّصها أهلُها الذين نزلَت فيهم كآيَة الولايَة، والقُربى، والتّطهير، وأمثالها، وأمّا ما كانَ وجههُ عامّا في القرآن الكريم كآيات الثّناء والمَدح والإشادَة، فإنّ وجَهها يكونُ عامّاً في جميع المُسلمين الذينَ تنطبقُ عليهِم هذه الآيات، كقولِ الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾، فالصّادقين كلمةٌ عامّة غير مُخصّصة، يَدخُل تحتها جميعُ مَن كانَ صادقاً من أمّة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وعلى رأسهم أمير المؤمنين (ع)، والحسن والحسين، والسابقون بالخيرات والمقتصدون من أبنائهما (ع)، والصّحابة الأبرار الأخيار الذين عاشوا وماتوا وهُم مُجتهدون في إرضاء الله تعالى ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كحمزة بن عبدالمطلب وجعفر بن أبي طالب وعمّار بن ياسر وسلمان الفارسي وأمثالهم من صناديد الصحابة الكرام، إن قيل: مهلاً معشر الزيدية، فنحنُ عليكمُ مُعترضون، إذ أنّ الآيات العامّة في كتاب الله تعالى لا تنطبقُ على عموم الأمة المحمديّة بل تنطبقُ على مَن صدقَت عليهِم مصاديق الآيَة دون غيرهِم من الأمة، كقوله تعالى: ﴿**وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾، فالصّادقون في الآية لفظةٌ عامّة لا يَدخُل تحتها جميعُ مَن كان فيه شيءٌ من صفات الصّدق، بل تنطبقُ على مَن كانَت صفة الصّدق فيه مُطلقَة دائماً وأبداً، ومعلومٌ أنّ صفَة الصِّدق المُطلَق ليسَت إلاّ من نصيب أشخاصٍ معصومين، ومَن ذكرتُم دون علي والحسنين فليسوا بمعصومين حتّى يصحّ انطباق الآية ﴿ **وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ عليهِم، فلا حمزة ولا جعفر ولا عمّار ولا سلمان معصومون إجماعاً من الأمّة، وعليه فقولُ الجعفريّة هُو القائمُ هُنا فالصّادقون

مُطلقاً هُم علي والحسنين والتسعة من ولد الحسين . نعم ! وعلى هذا كلّه نُجيب فنقول: إنّا لا نُسلِّمُ لكم أنّ إطلاق صفة الصّدق تعني الصّدق المُطلَق، وإلاّ لَزمُكُم مِثلُ هذا القول في مثل قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[آل عمران:١٢١]، يلزمُك أن يكونَ هؤلاء المؤمنين الذين غدى رسول الله ﷺ يُبوّأهُم مقاعدَ القتال، يلزمُك أن يكونوا معصومين منصوصاً عليهم، لأنّ الله أطلقَ عليهم صفة الإيمان ﴿ تُبَوِّىءُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وإطلاقُ الصّفة على حدّ قولِكم يلزمُ الإطلاق المُطلق، وعليه فإنّ هؤلاء المؤمنين الذين أطلقَ الله عليهم صفة الإيمان في الآيَة يجب أن يكونوا مؤمنين حقّاً حقّاً أي مُطلقاً أي معصومين أي منصوصاً عليهِم، ومِثلُ هذا يُقال في حقّ قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنفال:٦٥]، وفيه تأمّل إطلاق الله صفة الإيمان على الصحابة حاضري القتال مع الرّسول ﷺ، ﴿ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فهل هذا الإطلاقُ من الله لصفة الإيمان على الصّحابة مع الرّسول ﷺ يعني عِصمتَهُم وإيمانهُم مُطلقاً ؟! كما استنتجتُم أنّ إطلاقّ لفظة (الصّادقين) تعني الصّدق المُطلَق المفضي إلى العصمَة والنّص !!، ومِثل هذا يُقال في قول الله تعالى: ﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ [الصافات:١١٣]، وفيه تأمّل أنّ الله تعالى ذكرَ صفَة الإحسان والظّلم المُبين مُطلقاً في ذريّتي إبراهيم وإسحاق، ولفظة الإحسان المُطلق تَعني العِصمَة المُطلقَة، وكذلك لفظة الظّلم المُبين تعني الكُفر والعتو والتمرّد الشديدة، فهل يَعني هذا الإطلاق لهاتين الصّفتين أنّه لا يُوجد في ذريّة إبراهيم وإسحاق صلوات الله عليهما مَن حالهُ في الإحسانِ مُتوسِّط، وفوقَ المُتوسِّط وتحتُ بقليل (بمعنى أنّ المُحسنين في أعمالهم واجتهادِهم في إرضاء الله تعالى مراتب مُتفاوتة بحسب الهمّة والعَزم والعَمل)، وهل يَعني هذا الإطلاق هاتين الصّفتين أنّه لا يُوجَد أحدٌ قد ظلمَ نفسهُ بمعاصٍ متوسّطة أو قليلة أو كثيرَة (بمعنى أنّ الظّالمين لأنفسهِم من ذرية إبراهيم وإسحاق يتفاوتون في مراتب الظّلم والكفر والجحود

والطّغيان)، نعم ! فإنّ وقفتَ أخي القارئ على مغزى كلامِنا هُنا فقف على أنّ **خُلاصَة الإلزام هُو إثباتُ**: أنّ إطلاق الصّفات في كتاب الله تعالى لا يَعني الحال المُطلَق لما تضمّنته معاني الصّفات، فلا إطلاق صفة الصّدق يعني الصّدق المُطلق المُفضي إلى العصمَة، ولا إطلاق صفة الإيمان يعني الإيمان المُطلق المُفضي إلى العِصمَة، بل إنّ المعنى ينصرفُ إلى الظّاهر العامّ (الغالب عليهم) من حال الصّحابة والتابعين وتابعي التّابعين من الأمّة المحمديّة، على أنّ مراتب الصّدق في النصرة والطّاعة تتفاوتُ بين صدقٍ مُطلَق للمعصومين كعلي والحسن والحسين، ويليهِ صدقُ السّابقين والمقتصدين من ذرّية الحسنين، ويليه صِدقُ التّابعين وتابعي التّابعين إلى يوم الدّين، وكلّ هؤلاء الصّادقين (باختلاف مراتبِ صدقِهم) أُمرنا أن نكونَ معهُم، أُمرنا أن نجتهدَ كما اجتهدُوا لنكونَ منهُم ومَعَهُم في مرتبَة الصّدق، على أنّا نُشدّد أنّ رأسَ الصّادقين هُو علي بن أبي طالب والحسن والحسين وسادات بني الحسن والحسين إلى يوم الدّين، وأنّهم المعيار (مع الكتاب وصحيح السنّة) للانضواء تحتَ لواء الصّالحين، بمعنى أنّهم القُدوَة فمتى اقتدينا بهم كُنّا من الصّادقين، واجتهادُنا بالركوب في سفينتهم هُو الذي يزيد مِن مراتب إيماننا وصِدقِنا، فمتى مضى هذا الجيلُ الذي اجتهدَ في الاقتداء بعلي (ع) وأهل بيته، فإنّ الجيل الذي بعدَهُ مأمورٌ بأن يَخطوَ كما خَطى المُجتهدون الذين قبلَهُم في ركوب سفينة نوح وأن لا يكتفوا بمراتبِ صدقهِم (الجيل السّابق) بل أن يزيدوا مراتب إيمانهم وصدقهم على مراتبِ مَن سبقَهُم بالاجتهاد وبَذل الجَهد والوُسع والتمسّك بإجماعات بني فاطمة (ع) .

خُلاصته: أنّ إطلاق صفة الإيمان أو الصّدق في القرآن (مع الخطاب العامّ غير المُخصّص) فإنّه لا يعني لا الإيمان المُطلق ولا الصّدق المُطلق المؤدي إلى العصمة، بل هي تَحكي عن مراتب مُتعدّدة في الصّدق والإيمان حصلَت لأصحابِها، وفي هذا الوجه كفاية بإذن الله تعالى لتبيين المُراد، بعدهُ ننتقلُ للردّ على نفسِ شُبهَة الجعفرية في قول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ ولكن مِن وجهٍ آخَرَ، فنقول:

[مُناقشَة المسألَة من حيث تبيين معنى الحثّ بالكون مَع الصّادقين، وتبيين مَن هُم الصّادقين]

اعلم وفقّنا الله وإيّاكَ أنّ قولَ الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾، معناهُ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ منَ الصَّادِقِينَ ﴾، والمعنى متى صحّ بهذه الآليّة فإنّه يُذهبُ تلك الخصوصيّة لمعنى الصّادقين، فيُصبحُ حالها من العمومُ ظاهراً، لأنّ فيها حثّاً من الله تعالى لأمّة محمد ﷺ بأن يَبلُغ بهم تَقواهُم وزيادَةُ إيمانِهم إلى مَبلغٍ يكونون فيه مِنَ الصّادقين، والصّادقون فكلّ مَن صدّق بالله ورسوله وظهرَ صِدقُه عليه كعلي (ع) وحمزة وجعفر وأمثالِهم، فالآية دَعوةٌ من الله تعالى والرّسول لكل مُؤمنٍ بأن يَجتهدَ لكي يكونَ معَ الصّادقين، وهُو فمتى كانَ مع الصّادقين كانَ منهُم ، إن قيلَ قَد قَتلنا هذه المسألة (إتيان معنى (معَ) في الآية بمعنى (مِن» بحثاً فلِمَ تُكرّرونَها، قُلنا إنّما التّكرار لعدم وجَاهَة حُجّة المُناقِش فيها، وعليه فإنّا نسألُه عن آيةٍ من كتاب الله تعالى وهي الفيصَلُ بيننا وبينَه، وحالُها فينطبقُ على الآية محلّ النّقاش ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾، انظُر قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:١٤٥-١٤٦]، تأمّل قول الله تعالى: ﴿ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾، يُسألُ الجعفرية مَن هُم المؤمنون في الآيَة ؟! ولابُدّ لهُم أن يقولوا أنّ المؤمنين هُم المُؤمنون مُطلقاً، كما قالوا أنّ الصّادقين في قوله: ﴿ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ تعَني الصّادقين مُطلقاً، وعليه نعودُ ونسألُ الجعفرية عن معنى الحرف (مَعَ) في قول الله تعالى: ﴿ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ هَل يعني (مِنْ) أم يعني (المعيّة فقَط)، بمعنى هل يصحّ أن تكونَ الآيَة: ﴿ فَأُوْلَئِكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أم أنّ هذا لا يصحّ ؟! إن قالوا: أنّه لا يصحّ ذلك فمعَ في الآية تَعني المعيّة فقط . قُلنا: سياقُ الآيَة لا يُخبرُ بهذا قطعاً، فالآيَةُ تُخبرُ أنّ مَن تاب وآمَن وعَمِلَ صالحاً فإنّهُ بإيمانه هذا وعمله الصّالح وإخلاصه أصبحَ معَ

إخوانه المؤمنين المواظبين على عمل الصّالحات، والمُخلصين لوجه الله تعالى، أصبحَ بتوبته وصلاحه وإخلاصَه فرداً مِنَ المؤمنين، ولهذا ختم الله الآيَة ببيانَ أجر هـذا التّائب الـذي عَمِل صالحاً وأخلَص، وبيان أجر المؤمنين السّابقين الذي انضمَ هذا التائبُ إليهم وأصبحَ فراداً منهُم، فقال تعالى: ﴿ **وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾، ولفظة ﴿ **الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ يَدخُلُ تحتَها ذلكَ المؤمن التائب العامل بالصّالحات والمُخلص لله تعالى المُلتحق بجماعة إخوانه المؤمنين السّابقين ممّن أخصلوا لله وعَملوا الصّالحات، فأخبرَ الله أنّ جزاء هؤلاء جميعاً المُقتدِي والمُقتدَى بهم هُو الأجرُ العظيم، نعم ! وهذا كلّه يردّ على مَن أنكرَ أنّ المعيّة لا تأتي بِمعنى (مِن)، فمعَ المؤمنين (المُطلقَة في القرآن) تعني مِنهُم ومَعهُم، ومعَ الصّادقين (المُطلقَة فِي القرآن) تعني مِنهُم ومَعهُم، ألا ترى هذه الآيات وتتدبّرها وتجعلَها تُوصلكَ إلى القول الصحيح المَباني، قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾، وهُنا قالَ مِنَ المؤمنين ولم يَقُل مَع المؤمنين، وقال تعالى: ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾، وهُنا قالَ مِنَ المؤمنين ولم يَقُل مَع المؤمنين، وقال الله تعالى: ﴿ **وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾، وهُنا قالَ مِنَ المؤمنين ولم يَقُل مَع المؤمنين، وقال تعالى: ﴿ **أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾، وهُنا قالَ مِنَ المحسنين ولم يَقُل مَع المحسنين، نعم ! وبعد هذا كلّه فإن خصوصيّة الإطلاق لصفتي الإيمان والصّدق المُفضية إلى العصمة تتلاشى، لأنّ كلّ فرد من أهل القبلَة يستطيعُ أن يكونَ فرداً مِن المؤمنين، وفرداً من الصّادقين، باختلاف مراتبِ الصّدق والإيمان من فردٍ لآخَر حسب بذل الجهد والوُسع في الإتّباع (لكتاب الله تعالى، وصحيح سنّة رسول الله ﷺ، وسادات بني الحسن والحسين وإجماعاتهم في الدّين)، فآل محمّد (علي والحسنان وسادات بني الحسن والحسين) رأسُ المؤمنين ورأسُ الصّادقين، ويَدخلُ مَعهُم وتحتَهُم مَن اقتدَى بهم فهُو مَعهُم في إيمانه وصِدقه، وهُو منهُم في إيمانهِ وصِدقه، **فإن قال**

الجعفري: وكذلك نَقول نحنُ أنّ آل محمد هُم رأسُ المؤمنين والصّادقين، وأنّ مَن اقتدَى بهم فهو مؤمنٌ بالعرض والتبعيّة، وصادقُ بالعرضِ والتبعيّة، فعلام الخلاف إذاً ؟! **قُلنا**: إنّما موضعُ الخلاف بيننا وبينكم في الآيَة، هُو أنّنا نقولُ أنّ الصّادقين في هذه الآيَة هُم الصّادقون المعصومون (علي والحسن والحسين، وإجماع ومنهج سادات بني الحسن والحسين الذي يَدعونَ إليه النّاس والذي به وبتطبيقه يُصبحُ الفردُ مِن الصّادقين) والصّادقون بالتبعيّة والعَرض والإقتداء (وهُم الشيعَة المتمسّكون بسيرة وإجماع علي والحسنين والسّابقين بالخيرات والمقتصدين من ذريتهما، وأنتُم تقولون **أنّ الصّادقين في الآيَة** إنّما هُم آل محمّد (علي والحسنان والتسعة مِن ولد الحسين) فقط، واختلافٌ آخر بيننا وبينكم حول هذه الآيَة هُو جعلكم الصّادقين هؤلاء (معصومين) لُمجرَّد إطلاق صفة الصّدق، ونحن نقولُ أنّ الصّادقين في الآيَة هُم مَن كانَ الصّدق والإخلاص والنّصرَة هُو الظّاهر والغالبُ عليهِم، على اختلاف مراتب الصّدق والاجتهاد فيه، ولتوضيحٍ أكثَر حول مَن هُم الصّادقين الذين أمرنَا الله تعالى بالكون معَهم ﴿ **وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾، سنقف وإيّاكم على تعريف الله لهُم، فمَن هُم الصّادقونَ عند الله تعالى ؟! قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾، وهُنا سنقف عندَ هذه الآيَة، فإن ثبتَ أنّه لا يَدخلُ تحتَ مضمون هذه الآيَة إلاّ المعصومون المنصوص عليهِم دون غيرهِم من الأمّة المحمديّة، كان كلامُكم هو الصّحيح ونحن المُخطئون، وإن ثبتَ أنّ صفة الصّدق في الآية القريبَة تنطبقُ على المعصومين (الثلاثة) وغير المعصومين غير المنصوص عليهِم كان كلامُنا هُو الصّحيح وكلامُكم هُو الخاطئ، فهَل حمزَة بن عبدالمطلب، وجعفر بن أبي طالب، غير المَعصومَين، وغَير المَنصوص عليهما مِن ﴿ **الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾، مِنَ الذين، ﴿ **لَمْ يَرْتَابُوا**﴾، مِنَ الذين، ﴿**جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾، ممّن قال الله فيهم ﴿ **أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ ؟!! ما رأي الكتاب في حمزة وجعفر هُل هُما مِن الصّادقين في هذا

كلّه ؟! يُجيبُ الكتابُ العَزيز فيقول: ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا * لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ [الأحزاب:٢٣-٢٤] ، وأجمعَت الزيدية والجعفرية أنّ المقصودَ بقوله تعالى: ﴿ **فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ**﴾ هُم حمزة بن عبدالمطلب، وجعفر بن أبي طالب، وزادَ بعضهُم عُبيدة بن الحارث بن عبدالمطّلب، وأنّ المقصود بقوله تعالى: ﴿ **وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ** ﴾ هُو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، فهذه الآيَة شَهِدَت لهؤلاء بِما يجعل صفات الارتياب بعد الإيمان مُنتفية عنهُم تماماً، كما شَهِدت هذه الآيَات لهُم بالمثابرَة الحثّة في الجهاد والنّصرة لله وللرّسول ﷺ، فهذه الآية أثبتت أنّ قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾ مُنطبقٌ عليهِم، وأنّهم مِنَ الصّادقين، وكيف لا يكونون مِنَ الصّادقين والله تعالى يقولُ عنهُم: ﴿ **رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ**﴾، ويقولُ عنهم: ﴿ **وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا** ﴾، فهل حمزة وجعفر الذين هُم مِنَ الصّادِقين منصوصٌ عليهِم أو معصومون ؟! أم أنّه صحّ قول الزيدية بدخول المعصومين المنصوص عليهم (كعلي (ع) ، وغير المعصومين والمنصوص عليهم (كحمزة وجعفر) تحت اسم الصّادقين، على تفاوت مراتب الصّدق والنّصرة إذ عليٌّ (ع) أعلاهُم مرتبَةً ، نعم ! على أنّه يجدرُ بنا التنبيه والتّذكير بأنّ موضعَ الآية الأصلي في كتاب الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ موضعُ هذه الآيَة هُو في حثّ الثلاثة المُتخلّفين عن الخروج مع الرّسول ﷺ على صدق النّصرة لله وللرّسول، فحثّهم الله تعالى على التّقوى وأن يكونوا مع الصّادقين في جهادهِم ونُصرتِهم، مع الرّجال الذين ﴿ **صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ**﴾، كعلي وحمزة وجعفر وعُبيدة وأمثالهم، أن يكونوا منهُم (من الصّادقين) بالعمل بالأعمال التي عمِلَها حمزة وجعفر حتّى أصبحَوا بهذه الأعمال ، من الذين ﴿ **صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ**﴾.

[مُناقشَة المسألَة مـن جهـة الروايـات والأخبـار الجعفريـة حـول مـن هُـم الصّادقين في الآية]

١- روى الكليني بإسناده، عن ابن أبي نصر، عن أبي الحسن الرّضا (ع)، قال: سَألتهُ عن قول الله عزّ وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ ؟!، قال: الصَّادِقون هُم الائمّة، [تأمّل] والصِّديقُون بِطاعَتِهم)). [أصول الكافي:١/ ٢٠٨] ، ورواه صاحب [بصائر الدرجات:]، وشاهده في بحار الأنوار للمجلسي [٢٤/ ٣١] .

تعليق: وهُنا تأمّل دخول أتباع الأئمّة والمُصدّقين بهم ضِمنَ الصّادقين، تجِد أنّ قول الزيدية هُو المُستقيم في المسألَة، لأنّه يلزمُ على شرط الجعفرية أن يكونُ هؤلاء الصدّيقون المُصدّقون بالأئمة، يلزمهُم أن يكونوا صدّيقين دائماً معصومين عن مُخالفة الأئمة في السّر والعلن، وأن يكونوا مَعلومِينَ مَعروفينَ منصوصٌ عليهِم ، وهذا باطِل، ومنه فإنّ قوله ﴿**وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ لا يُستنتجُ منه أي دلالَة على العصمَة أو النّص لأشخاصٍ محدودين معدودين كما تُحاولُ الجعفرية إثباتَ هذا، وإلاّ لزِمهُم أن يكونَ جعفر وحمزة معصومين منصوصاً عليهم لمّا أطلقَ الله عليهم صفة الصّدق مُطلقاً، فقال جلّ شأنه: ﴿ **رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ** ﴾، وقال جلّ شأنه: ﴿ **وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾ كما تقدّم بيان ذلك .

٢- ذكرَ الطّبرسي في تفسيره مجمع البيان، أقوالاً عديدة في تفسير مَن هُم الصّادقين في الآية، فقال:

« وقيل: المُراد بِالصَّادقين هُم الذين ذَكرهم الله فِي كِتابِه، وهو قوله: «رِجَالٌ صَدَقوا مَا عَاهدوا الله عَليه فَمِنهُم مَن قَضى نَحبَه)، يَعني حمزة بن عبد المطلب، وجعفر بن أبي طالب، (ومنهُم مَن يَنتظِر) يَعني عَلي بن أبي طَالب (ع) .

* وروى الكَلبي: عن أبي صَالح، عن ابن عباس قال: كُونُوا مَعَ الصّادقِين، مَعَ علي وأصحَابه.

* وروى جابر، عن أبي جَعفَر (ع) فِي قَولـه ﴿ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾، قال: مَع آل محمّد ﷺ . *

* وقيلَ: مَع النّبيين والصِّديقين فِي الجنة بالعمَل الصَّالِح فِي الدّنيا، عن الضحّاك.

* وقيل: مع محمّد ﷺ وأصحَابه، عن نافع.

* وقيل: مَع الذين صَدَقت نيّاتُهم، واستقَامَت قُلوبهم وأعمَالُهم، وخَرجوا مَعَ رسول الله ﷺ، وَلم يَتخَلفوا عنه، عن ابن عباس »، اهـ من [مجمع البيان للطبرسي:٥/ ١٤٠]، وانظُر شاهدَه في [بحار الأنوار:٢٤/ ٣٠] .

[إلزام الجعفرية بإلزامات خطيرة مترتّبة بعد التسليم الجدلي بما فهموهُ من الآيَة]

سلَّمنا جدلاً (مُتجاهلينَ جَميع مَا مضى من احتجاجات عليكم) أنّ قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهّ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾، يقتضي صِدقاً مُطلقاً مفضياً إلى العصمَة، مفضياً إلى النّص، فإنّ حثّ الله تعالى للمؤمنين على الكَون مع الصّادقين الذين هُم (أفراد الإثني عشر المعصومين المنصوص عليهِم وفقط)، يقتضي أن يكونَ الصّادقون هؤلاء موجودينَ ما وُجِدَ المؤمنون، ويقتضي أيضاً أن يكونَ هؤلاء الصّادقون ظاهرينَ غير غائبين، موجودين مُعايشين للنّاس، لهُم طريقٌ معلومٌ على وجه البسيطَة لِكي يكونَ النّاس مَعهُم اقتداءً، وطاعةً، ونُصرةً، خصوصاً مع هذا الزّخم المفجع من الالتباس في أمر الدّين والدّنيا، والله المُستعان . فالله سبحانه وتعالى حثَّ المؤمنين في كلّ زمانٍ ومكان على الإقتداء (على حدّ قولكم) بالصّادقين المعصومين، فالمُسلمونَ موجودون في هذا الزمان ولا صادِقَ موجودٌ في هذا الزّمان، فَبِمَن يقتدِي المُقتدِي يا الله ؟! بمَن أمرتَنا أن نكونَ معهُ

﴿ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ في هذا الزّمان . الجعفرية لا تَقول أنّ الإقتداء هُو اقتداءٌ بمنهج (بإجماع) وفَقط، بل تقولُ هُو اقتداءٌ بأفَراد وأشخاص منصوصٍ عليهِم لهم بقيّةٌ إلى يوم القيامَة، وهُنا نسألُ الجعفَرية عن الصّادق المُطلق المعصوم المنصوص عليه الغائب المهدي محمد بن الحسن العسكري أين هُو ثِقلُهُ ووجودهُ وعلامات صِدقِهِ التي يجبُ علينَا الإقتداء بها ؟! خصوصاً مع تجدّد الفَتن وتكاثُرها وتكالُبها وضياع وَجهُ الحقّ المُطلَق (استنباطاً من عقيدَة الجعفَرية في معرفَة الحقّ من الباطل)، وضياعُ الحقّ المُطلق من ألفَ ومائتي سنة ليس ناتجاً إلاّ من غياب الصّادق المُطلق، صاحب القرار الصحيح المُطلق، والفَتوى الصّائبة المُطلقَة، والمُنهج القويم المُطلَق، والله المُستعان، وبهذا التوضيح أختمُ كلامي هُنا مُصلّياً ومُسلّما على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

الآيَة محلّ النّقاش، نظرة عقلانية :

[الصّادقون في قوله الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾، هل هُم أشخاصٌ معصومون بدون فكر، أم أشخاصٌ معصومون و فكرٌ معصوم، أم أشخاصٌ غير معصومين وفكرٌ معصوم] :

هُنا بعون الله تعالى نتناولُ أبعاداً مهمّة للباحث الحصيف، حول المقصود بالصّادقين، بنظرَة أعمّ وأشمَل من نظرتِنا السّابقة لهُم، سابقاً كان مدار الإثبات والنّقض، حول خصوصيّة الصّادقين بأهل البيت وشيعتهم المُتابعينَ لهُم، أو أهل البيت فقط، إذاً هُناك إجماع من الزيدية والجعفرية أنّ لأهل البيت النصيب الأكبَر من الحثّ على الكون معَهُم، وهُنا سنتناولُ مَن المَقصودُ بأهل البيَت في الآيَة، هَل المقصودُ من الآيَة هُو الحثُّ على الكونَ معَ رجال صادقين دون اتّباع فكرهِم، بمعنى مُرافقتهِم بالمعيّة والمُصاحبَة بدون الإتّباع، أم أنّ المَقصودُ هُو اتّباع رجال صادقين معصومين مع اتّباع فكرهِم الذي لا شكّ سيكونُ معصوماً، وإنّما عُصِمَ فكرهُم لعصمَة الرّجال الصّادقين المُستنبطين، فيكونُ المعنى مُرافقتهم بالمعيّة والنّصرة والاتّباع، وهذا الثّاني هُو قول الجعفرية، أم أنّ المقصود هُو اتّباع

رجال صادقين غير معصومين مع اتّباع فكرهِم المعصـوم، وإنّـما عُصِـم فكـرُهم لاجتماع جماعَة من هؤلاء الرّجال على قولٍ واحِدٍ فيـه، فيكـونُ المعنـى مُـرافقتهُم بالمعيّـة والنّصرـة والاتّباع، وهذا الثالث هُو قول الزيدية، هذه ثلاثةُ أقوالٍ مُختصرة علينا تفصـيلُها وبيانهُـا، وعلى القارئ تدبّرها وترجيحُ وجه الحقّ فيها، ومنها:

القَول الأوّل: أن يكـون الله تعـالى، ورسـوله ﷺ، حثّونـا عـلى الكَـون مـع رجـالٍ صادقين، بالمعيّة أي المُرافقَة بالأبدان والأجسام والتّنقّل والترحَال، بدون اتّباع فكر هؤلاء الرّجال الصّادقين، وهذا المعنى من هذا القَول باطلٌ بالإجماع، إذ لا حِكمَةَ من هكذا حثٌّ من أحكم الحاكمين، ولا فائدةَ من هكذا خِطـاب مـن المُصـطفى ﷺ، إذ الحـثّ عـلى مُرافقة الصّادقين بدون الحثّ على الإتّباع، ليسَ وجههُ بمؤدٍ إلى طريق النّجـاة والسّـلامة، وعليه فوجهُ هذا القول باطلٌ، ولن نُبالغَ إن قُلنا إجماعاً .

القَول الثّاني: أن يكـون الله تعـالى، ورسـوله ﷺ، حثّونـا عـلى الكَـون مـع رجـالٍ صادقين معصومين بالمعيّة والمُرافقة والنّصرَة، مـع اتّبـاع فكـرهِم الـذي لا شـكّ سـيكونُ معصوماً، وإنّما قلنا لاشـكّ بعصـمتهِ لمكـانِ عِصـمَة الرّجـال الصّـادقين المُسـتنبطين لـه، والقائمين على نشره، والدّعوَة إليه، وتعليمهِ للنّاس، بمعنى: أنّه لن يَخرُجَ عن المعصـومينَ إلاّ فكرٌ معصوم، وهذا هُـو قـولُ الجعفريـة مـن الشـيعَة، وعليـه فـإنّ هُنـاك عـدّة نتـائج نستنتجُها من هذه المقدّمة، منها:

الاستنتاج الأول: أنّ الفِكرَ متى لم يَخرُج مِن عندِ معصومٌ فهو (الفكر) ظنّيٌ غيرُ معصوم .

الاستنتاج الثاني: أنّ واجبَ الهدايَـة عـلى الرّجـال الصّـادقين المعصـومين هُـو إخـراجُ فكرهُم المعصومُ تبعاً لعصمَتهم، ومعلومُ أنّ خطابَ الله تعالى في الآيَة ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ هُو خطابُ لجميعِ المؤمنين على مرّ الأزمـانَ والأعصَـار، فكما أنّه خاطبَ المؤمنين في عهد الرّسول ﷺ وحثّهم على الكـون والإقتـداء بعـلي بـن

أبي طالب (ع)، فكذلكَ خاطَبَ المؤمنين الحَيارَى وغيرِهِم في عهد جعفر الصّادق (ع)، وحثَّهُم (الله) على الكون والإقتداء بجعفر الصّادق (ع)، وكذلكَ خاطَب المؤمنين الحيارَى وغيرِهِم في عهدِ الحسن العسكري (ع)، وحثَّهُم (الله) على الكون والإقتداء بالحسن العسكري (ع)، وكذلكَ نقولُ كالأحوال السّابقة في الخطاب الإلهي للمؤمنين من حيث شموليّته للمؤمنين من بعد الحسن العسكري إلى يوم القيامَة، وحثّ (الله) على الكون والإقتداء بالمهدي محمد بن الحسن العسكري، خُلاصَة الكلام القريب أنّ خطاب الله تعالى مُوجّهٌ للمؤمنين في جميع الأعصار والأزمان، وأنّ واجب الرّجال الصّادقين هُو إخراجُ فكرهم المعصوم تبعاً لعصمتِهم لجميع مَن شَملِهُم الخطاب القرآني على مرّ الأزمان والأعصار .

الاستنتاج الثالث: على قولُ الجعفرية (أصحاب القول الثّاني)، فإنّ الفِكرَ في عِصمتهِ تابعٌ لِعصمَة الرّجال الصّادقين (الإثني عشر)، ولَو قالوا بأنّ عصمَة الفكر غير تابَع لعصمَة الرّجال الصّادقين لصحّحوا قولَ الزيدية من حيث لا يَعلمون، وعليه وبما أنّ عصمَة الفكر تابعٌ لعصمَة الرّجال الصّادقين فإنّه لن (تُفيد النفي والتأبيد) يُوجَد فكرٌ معصومٌ على مرّ الأزمان والأعصار إلاّ بوجودِ رجالٍ صادقين موجودين على مرّ الأزمان والأعصار يَخرجُ هذا الفكر عن طريقهِم، خُصوصاً وأنّ الفِتَن تتجدّد، والشّبهات النّاجمات القاصمات تَجعلُ العقلَ يطيرُ ويحيرُ بحثاً عن المخارِج، والفتوى تزيدُ أوجُهُها، وبمعنىً آخَر نقول: أنّ الفكر المعصوم مُرتبطٌ وجودهُ بوجودِ الرّجال الصّادقين في كلّ الأزمان، يكونانَ معاً في كلّ الأزمان .

نعم ! وبعد هذه الاستنتاجات، نستعرضُ بعض الإلزامات المُلزِمة للجعفريّة، التي تُبيِّن عَوار هذا القول، منها:

الإلزامُ الأوّل: بما أنّ الخطاب (الحثّ على الكون مع الصّادقين) شاملٌ لجميع العباد

على مرّ الأزمان والأعصار (كما تقرّر في الاستنتاج الثّاني)، فإنّ الخِطابَ شاملٌ لنا في هذا اليوم (١٢/ ٥/ ١٤٢٨هـ)، وقد سبقَ أن قرّرنا في مقدّمة القول الثّاني، أنّ حثّ الله تعالى للمؤمنين يعني حثّهم على مُرافقة ونُصرة هؤلاء الرّجال الصّادقين المعصومين وعلى اتّباع فكرهِم، وأنّ فكرَ هؤلاء الرّجال الصّادقين المعصومين لاشكّ سيكون معصوماً لاستحالة أن يخرُج عن المعصومين فكرٌ غير معصوم، وقرّرنا أيضاً في الاستنتاج الثّالث أنّ الفكر في عصمته تابعٌ لعصمَة الرّجال الصّادقين، وأنّ مصيرَ الفكر المعصوم مُرتبطٌ بوجود الرّجال الصّادقين، فمتى عُدِمَ (أو غابَ) الرّجال الصّادقين، لم ولن نستطيعَ كأهلِ قِبلةً في هذا الزّمان من إصابَة الفكر الجعفري المعصوم، فأطراف هذا الفكر ستكون بيد علماء الجعفرية الغير معصومين فيكون اتّباعنا للمذهب والفكر الجعفري مبني على الظّن كم تقرّر في الاستنتاج الأوّل، وعلى هذا كلّه نقول (على مقتضى قول الجعفرية): أنّ خِطابَ الله تعالى لنَا في هذا الزّمان لن يتحقّق إصابَةُ وجهه إلاّ بالإتّباع، وأخذ الفكر المعصوم، والتسليم، والنّصرةَ للرجال الصّادقين (الإثني عشر)، ﴿ **وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ بالإتّباع لفكرهِم، ونُصرتهم، فهل يَعلم الجعفرية أنّ هُناك تواجدٌ مُشترَكَ اليوم لأشخاص الرّجال الصّادقين (لشخص المهدي المنظر)، ولفكر المهدي المعصوم الذي يرتضيه قطعاً بلا ظنّ أو احتمال؟! **إن قيل**: ليسَ يُشترطُ وجودُ شخص المهدي الغائب بيننا لإصابَة الفكر المعصوم إذ يكفينا روايات آبائه التي وصلَتنا وروايته التي وَصلَتنا عن طريق سفرائه الأربعَة قبل ألف ومائتي عام! . **قُلنا**: قد رَجعتُم من حيثُ علمتُم أو جهلتُم إلى قول الزيدية المَرضيّة، من عدم اشتراط وجود المعصوم لمعرفة الفكر المعصوم، فهي تَقول أنّ إجماع سادات بني الحسن والحسين هُو الفكر المعصوم وأنّ القُوَّام عليه بنشره وتبليغه هُم رجالٌ من بني فاطمة غير معصومين لن يُعدَموا، فقولُكم القريب تقويَةٌ إلى ما ذهبَت إلى الزيدية ، وإثباتٌ لعدَم حاجَة المُكلّفين إلى المَعصوم .

وخُلاصَة الإلزام أنّ وجودَ الرّجال الصّادقين معايشين للنّاس للكونِ معَهم (ركّز على

قولِنا للكونِ معهُم) لازمٌ لمعرفة الفكر الحقّ المحمديّ المُطلَق المعصوم، ومتى غـابُوا فقـد غاب الفكر المعصومُ مَعهُم، لأنّه لا وجودَ لفكرٍ معصوم بدون رجالٍ صادقين معصـومين على مقتضى مذهب الجعفرية .

الإلزامُ الثّاني: أنّ الله أمَرَنا بالكونَ مع رجالٍ صادقين معصومين، وهذا إمّـا أن يقتضي الكونَ مع الرّجال الصّادقين المعصومين، أو معَ فكـرهِم المعصـوم تبعـاً لعصـمتهِم، وقـد قرّرنا في الاستنتاج الثّالث أنّ أمر الله تعالى وحثّه لنا بالكون مـع الصّـادقين (عـلى مـذهب الجعفرية) يلزمُ منه الكون مع الرّجـال الصّـادقين المعصـومين (وبقيّـتهم المهـدي في هـذا الزّمان)، ومع فكرهم المعصوم (فكر المهدي في هذا الزّمان)، وأنّ شرطّ الكَون الذي حثّ الله عليه لن (تفيد النّفي والتأبيد) يتحقّق إلاّ بوجـود الرّجـل الصّـادق المهـدي الجعفـري المعصوم وفِكره في آنٍ واحِد، وإلاّ فإنّ فائدة الآيَة القرآنيّـة الحاثّـة عـلى الكـون مـع الحـقّ المحمديّ المُطلَق ستذهبُ أدراج الرّياح، لأنّا لو اتّبعنا فكـر الجعفريـة تواصُـلاً مـع فقهـاء الحوزات، وأصحاب ولاية الفقيه الرّجال الغير معصومين، لن نكونَ قاطعينَ على أنّ هـذا هُو الحقّ المُطلَق، والدّين المُطلَق، لأنّه صدرَ عـن رجـالٍ غـير معصـومين، حـالهُم كحـالِ رِجال الإسماعيلية من الشيعَة لهُم نفس الـدّعوى، والله في الآيَـة الكريمـة قـد حـثّ عـلى الكونِ مع حقٍّ مُطلَق، والحقّ المُطلَـق لـن نسـتطيع تطبيـق حـثّ الله لنـا بـالكونِ معـه إلاّ بحضور وتفهيم وتدريس ونِقل الرّجـال الصّـادقين (وفي زماننـا هـذا لـن نصـلَ إليـه إلاّ بحضور المهدي الجعفري الغائب)، وعليه فإنّ الآيَة تُوجبُ أن يكونَ الرّجـال الصّـادقون حاضرون مُعايشون لَمن خاطبَهُم الله تعالى من المؤمنين وأمـرَهُم بـالكون مَعهـم، ليتحقّـق هذا الكَون، فمتى غابوا عنّا هؤلاء الرّجال المعصـومين، غـابَ فكـرهُم المعصـوم، ومتـى غابَ شخصُهُم وفكرهُم فقد كلّفنا الله تعالى بما لا نَستطيع ولا نَقدر (بـأكثر مـن طاقَتنـا)، لأنّه دلّنا على مذهبٍ جعفـريٍّ ظنّـي الإصـابَة والنّجـاة . **إن قيـل**: لسـتُم تجهلـون غيـاب الرّسول ﷺ عن المؤمنين في الغار، وأثناء رحلاته وتنقّلاته، فهل هذا يعني غياب فكره المعصوم . **قُلنا**: لا تَقِس يا رَحمك الله غياب الرّسول ﷺ بغياب المهدي الجعفري (مـن

ألف ومائتي عام!)، لأنّ الرّسول ﷺ عندما كان يحضرُ بعـد الغيـاب، وكـان يُصـحّح أخطاء أصحابه إذا وقعوا في الخطأ وهو غائبٌ عنهُم، كما أنّه ظلّ مُعايشاً لهُـم مُقِـيمَاً داعيـاً ناشراً لفكره المعصـوم، فشرـوط الكَـون الإلهـي مـع الرّسـول ﷺ مُتحقّقـة، (وجـود شخص الصّادق المعصوم ووجود فِكرِه المعصـوم ودعوتـه إليـه) نعـم ! فشرـوط الكَـون الإلهي مع الرّسول ﷺ مُتحقّقة (وإن غاب ثمّ حضَر)، فغيابهُ القصير ﷺ في زمانـه لم يَجعل العِباد في ذلك الزّمان يتكلّفون ما لايُطيقون في الوصول إلى فكره المُطلق الصّـدق، ومنهَجه المعصوم، بل الكلّ يستطيعُ أن يَصِلَ إليه مُشافهةً له (بعد حضوره)، ومُخالطَةً لـه، ومُشاهدةً له، كما أنّا وإيّاكم وجميع أهل القِبلَـة نقـول أنّ رسـول الله ﷺ قـد توفّـاه الله مُبلّغاً مُقيماً للحجّة على العباد .

القَول الثّالث: أن يكون الله تعـالى، ورسـوله ﷺ، حثّونـا عـلى الكـون مـع رجـال صادقين غير معصـومين لهـم ألطـاف توفيقيّـة مـن الله يكونـوا مَعَهـا في غالـب أمـورهِم وشئونهم مُصيبين، وحثّونا على اتّباع فكرهِم المعصوم، وإنّما جاءَت عِصمَةُ هذا الفكر مـن اجتماع هؤلاء الرّجال الصّادقين المخصوصين بألطاف التوفيق الإلهي، اجتماعهم على فكـرٍ واحدٍ في الدّين، فكانَ هذا الاجتماعُ منهم مـع تصرـيح الله والرّسـول أنّ الحـقّ لـن يَخـرُجَ عنهُم هُو الدّافعُ للقولِ بعصمَة الفكر، وهذا هُو قولُ الزيدية من الشيعة، **إن قيلَ**: اشرحُوا لنا هذا الكلام بالتفصيلِ المُمِلّ .

قُلنا: اعلم هدانَا الله وإيّاك ، أنّ لبنـي فاطمـة سـادات بنـي الحسـن والحسـين ألطـافٌ توفيقيّة من الله تزيدُ بزيادَة عزيمَة الفاطمي واجتهادِه في طلبِ الله وإرضـاءِهِ خصوصـاً إذا كانَ معَ هذا الاجتهاد وبذل الجَهد والوُسع مُتمسّـكاً بإجماعـات سـلفه مـن بنـي فاطمـة السّابقين، فيهمُّ الرّجلُ منهُم (الذي قَد وصلَ بِعلمِه وفعلِهِ إلى منزلة السّـابقين بـالخيرات، إلى منزلَة الإمامة والقيادَة) إلى دَعوَة النّـاس إلى فكـرِه وفكـرِ آبائـهِ المُجتمَـعِ عليـه، الفكـر العلوي الفاطمي الحسني والحسيني المعصوم، فيكونُ بهذا الإمام القائم في كلّ زمانٍ مُجدّداً

لفكرٍ معصوم، الفكرُ المعصومُ هذا لم تَخلُ الأرضُ منه لحظة من بعد سيّدنا محمد ﷺ، وكذلكَ الرّجال الصّادقون الفاطميّون الذين لهم توفيقاتٌ ربّانيّة يعملونَ على نشرِه والقيامِ بالدّعوةَ إليه، وتهذيبه، وتنميقه، وحياطَتِه، وصيانَتِه من المُتعدِّين عليه، فيكونُ هذا هُو دورُهُم في الهِدايَة، والتبليغ، والدّعوَة، وعليه أخي القارئ فإنّ الزيديّة هي التي تحقّق عليها مِصداقيّة قول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ** ﴾ خطابٌ خاصّ لأصحابِ رسول الله ﷺ، وتدخلُ جميع الأمّة المحمديّة بها لا يُمتنَعُ أصلُه ووجهُهُ، فهو خطابٌ للعباد في كلّ زمانٍ ومكان، ﴿ **اتَّقُواْ اللّهَ** ﴾ خافوا الله وأقبلُوا على طاعتهِ ومَرضاتِهِ، ﴿ **وَكُونُواْ** ﴾ بالمُرافقَة والمُخالطَة والنّصرَة والاتّباع، ﴿ **مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ مَعَ الرّجال الصّادقين في منهجهِم ودَعوتِهم، والزيدية تَقولُ أنّ أئمّتها رجالٌ صادقون في تبليغ الإجماع الفاطمي المعصوم، فهُم أصدقُ النّاس في تبليغ الدّعوَة الحقّة، لأنّ دَعوتَهُم التي يعملونَ على نشرها هي دَعوة أهل البيت (ع)، ودَعوة أهل البيت (ع) لن تُفارقَ الكتاب حتى يَرثَ الله الأرض ومَن عليها، فالقائمونَ على تبليغِ هذا الفكر المعصوم، والدَعوة الحسنية والحسينيّة هُم رجالُ صادقون فيما دَعوا إليه النّاس مِن فلاحٍ ونجاة، أضف إلى ذلك أنّ الظّاهر على حال أولئك الأئمّة أو المقتصدين من بني فاطمة العامِلين على نشر هذا الدّين الحقّ، هُو الصّلاح وحُسن الاختيار، والاجتهاد في مرضاة الله ومرضاةِ رَسوله ﷺ، وليسَ هذا كلّه منهُم بعمصَة مِن الله تعالى، وإنّما هُو اقتداءٌ بالكتاب وصحيح السنّة المحمديّة وبأفعال وأقوال سابقيهم من بني فاطمَة، وبالاجتهاد الشّخصي لهم في المسائل الدّائرة والحادِثَة والذي يَحوطُهُ من الله توفيق ولُطف، فمَن اتّقَى الله وآثرَ جانبَه كانَ الله مَعهُ بتوفيقه وتسديده، فكيف إذا كان هذا المُتّقي لله والمُجتهدُ رجلٌ فاطميٌّ من أهل بيت رسول الله ﷺ باذلٌ نفسَهُ ونفيسَهُ للعمل بكتاب الله تعالى، وسنّة رسول الله ﷺ، وبإجماع سلفه السّابقين من بني فاطمة (ع)، فلهُ بلا شكّ نصيبٌ كبير مِن توفيق الله وتسديده، نعم ! أضف إلى ذلك أنّه مِن قول الله تعالى: ﴿

وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ هُو أنّ أهل التّكليف من أمّة سيدنا محمد (ع) لن يمرّ عليهِم مكان ولا زَمان، ليسَ فيه لُمقتصدٍ أو إمامٍ من بني فاطمة مكانٌ على وجه البسيطَة، يُعايشُ مِن خلالِهِ النّاس ويُخالطُهُم ويَدعوهُم قدر استطاعتِهِ، كما أنّ إجماعَ أهل البيت المعصومُ موجودٌ أيضاً، فمَن كانَ قريباً من الُمقتصِد أو الإمام الزّيدي الُمبلّغ للإجماع الفاطمي المعصوم، مَن كانَ قريبا منهُ في الدّيار والَمسكَن تمسّك بهِ، وانضوى تحتَ جناحِهِ، وتعلّم على يديه، ومَن كانَ بعيداً دارُهُ ومَسكنهُ عنه تمسّكَ بإجماعِ سلَفهِ من سابقي بني فاطمة وهُو الإجماع المعصوم، وكانَ عليه بذل الجَهد في الوصولِ إلى مُقتصد أو إمامِ بني فاطمَة في زمانِه، والتعلّم على يديه والاستزادَة من آرائه واجتهاداته في الأمور الطّارئَة والفتن النّاجمَة في كلّ مكانٍ وزمان، وعليه أخي الُمكلّف فإنّ مصاديق هذه الآيَة الكريمَة لم تنتفِ على أصلِ الزيدية، بقدر ما انتفَت على أصلِ الجعفرية، لأنّ الجعفرية قالَت بالكونِ معَ الرّجال الصّادقين بالمرافقة والتعلّم والنّصرَة والاّتباع للدّعوة، وجعلَت سببَ الصّدق الُمطلَق عليهِم هُو عِصمةُ هؤلاء الرّجال، فكانَ دينهُم وفكرهُم الذي يَدعونَ إليه معصومٌ تبعاً لعصمتهِم، فالمعصوم لا يخرجُ عنه إلاّ قولُ مَعصوم، وعليه فالآيَة تحثّ الأمّة المحمديّة في كل زمانٍ ومكانٍ على اتّباع رجالٍ لهم أفعال تُنبؤُ أنّهم صادقين في أفعالِهم ودَعواتِهم، وهذا كلّه غير موجود من ألف ومائتي عام، فلا رجالهُم المعصومين (المهدي الغائب) موجودين لنقتدي بأفعالِهم، وبما أنّ الرّجال المعصومين غيرُ موجودين فالفكرُ الصّادقُ المعصوم، والمنهجُ الحقّ القويم، ليسَ له وجود، لأنّا قرّرنا سابقاً أنّه تابعٌ لوجود الرّجال الصّادقين المعصومين، فمتى عُدِمَ الرّجالُ الصّادقين عُدِمَ الفكر المعصوم، مُتى عُدم المهدي ابن الحسن العسكري عُدِمَ الفكر المحمديّ المعصوم، فكيف يُخاطبُ الله تعالى أمّة محمّد بالكونِ مع رجالٍ غير موجودين، ودَعوة مُترتّبة ومُتوقّفةٌ عليهِم وعلى تبليغهِم ودَعوتهم لها !!، اللهم صلّ على محمد وآله الطيبين الطّاهرين .

[مُناقشَة قول الله تعالى : ((فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ))] :

إن قيل: ودليلٌ آخَر على النص من الله سبحانه وتعالى، على أئمّة بعينهِم، هـو قـول الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾، فـأطلق عـدم العلـم عنـد السـائل ممـا يكشف عن إطلاق العلم عند المسؤول وهم أهل الـذكر، إذ لا يكـون عالمـا مطلقـا وهـو عاجز عن إجابة من لا يعلم مطلقا، ولا أحد من غير المنصوص على علمـه المطلـق يُقطـع بعلمه المطلق، فيتعين النص على العالم المطلق عن الله عز وجل وهو الإمام.

قلنا: قد فهمنا موضع السؤال، فتفهَّموا هدانَا الله وإيّاكم الجواب، الذي سندرجه من عدّة توضيحَات :

التّوضيح الأوّل : في بيان معنى قـول الله تعـالى: ﴿ فَاسْـأَلُواْ أَهْـلَ الـذِّكْرِ إِن كُنـتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾:

سياق الآيَة، وهو قول الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَـلْنَا مِـن قَبْلِـكَ إِلاَّ رِجَـالاً نُّـوحِي إِلَـيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ* بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّـاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل:٤٣-٤٤]، وقوله تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُـواْ هَـلْ هَـذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ * قَالَ رَبِّي يَعْلَـمُ الْقَـوْلَ فِي السَّـمَاء وَالأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ* بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ * مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ * وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَـكَ إِلاَّ رِجَـالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنـتُمْ لاَ تَعْلَمُـونَ ﴾[الأنبياء:٢-٧] ، وهـذه الآيَـات لمـن تأمّلها تقتضي حثّ الرسول ﷺ، لكفّار قـريش وغـيرهم مـن الأعـراب مسـألَة أهـل الذكر (أهل الكتاب) الذين كانوا يسـتفتحون علـيهم – يسـتفتحون عـلى كفـار قـريش–

(ويفتخرون، ويتمدحون) بمعرفة أمور مستقبليّة أخبرَت بها كُتُبهم السّماوية، فأرادَ الرّسول ﷺ، أن يُخبرَهُم بصدق ظهور علامة وصفات النبوّة فيه، على لسان مَن يُصدّقه كفّار قريش (أي على لسان أحبار ورهبان وقساوسة أهل الكتاب)، فيكون المعنى: يا مَعشرَ مَن كفرَ بي ولم يُصدّق بعلامة النبوّة فيَّ، يا معشرَ من لا يُصدّق محمد بن عبدالله وما جاء به من أخبار ودلالات، يا معشرَ مَن يُصدّق أهل الكتاب أحباراً ورُهباناً وقساوسةً، اسألوا مَن تُصدّقونهُ دون من لا تُصدّقونه، فاسألوا أهل الكتاب عن علامات نبيّ آخر الزّمان، ورقة بن نوفل من النصارى الذي شهدوا بنبوة الرسول ﷺ، وعبد الله بن سلام من اليهود الذين شهدوا بنبوّة الرسول ﷺ، و في الأثر الذي رواه الإمام المرشد بالله (ع) ، بإسناده، «عن سلامة بن وقش البدري رضوان الله عليه، أنّه قال: «كَانَ لَنَا جَارٌ يَهُوْدِيٌّ مِنْ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، قَالَ: فَخَرَجَ عَلَيْنَا يَوْماً مِنْ بَيْتِهِ حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ. قَالَ سَلَمَةُ: وَأَنَا يَوْمَئِذٍ أَحْدَثُ مَنْ فِيْهِ سِنَّاً عَلَيَّ بُرْدَةٌ لِي مُضْطَجِعٌ فِيْهَا بِفَنَاءِ أَهْلِي، فَذَكَرَ الْقِيَامَةَ وَالْبَعْثَ وَالْحِسَابَ وَالْمِيْزَانَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ. قَالَ: فَقَالَ ذَلِكَ لِقَوْمِ أَهْلِ شِرْكِ أَصْحَابِ الأَوْثَانِ أَلاَ تَرَوْنَ إِنَّ بَعْثاً كَائِنَاً بَعْدَ الْمَوْتِ. فَقَالُوا لَهُ: وَيْحَكَ!! أَوَ تَرَى هَذَا كَائِناً أَنَّ النَّاسَ يُبْعَثُوْنَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ إِلَى دَارٍ مِنْهَا جَنَّةٌ وَنَارٌ يُجْزَوْنَ فِيْهَا بِأَعْمَالِهِمْ. قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ وَلُوْدٌ إِنَّ لَهُ قِحْطَةً مِنْ تِلْكَ النَّارِ أَعْظَمُ تَنُّوْرٍ فِي الدُّنْيَا يَحْمُوْنَهُ ثُمَّ يَطِيْنُوْنَ عَلَيْهِ، بِأَنْ يَنْجُوا مِنْ تِلْكَ النَّارِ غداً. فَقَالُوا لَهُ: وَيْحَكَ يا فُلاَنُ! فَمَا آيَةُ ذَلِكَ؟ . قَالَ: نَبِيٌّ مَبْعُوْثٌ مِنْ نَحْوِ هَذِهِ الْبِلاَدِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى مَكَّةَ وَالْيَمَنِ. قَالُوا: وَمَتَى يُرَى؟. قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيَّ وَأَنَا مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنَّاً، قَالَ: إِنْ يَسْتَقْبِلْ هَذَا الْغُلاَمُ عُمْرَهُ يُدْرِكْهُ. قَالَ سَلَمَةُ: فَوَاللَّهِ مَا ذَهَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ رَسُوْلَهُ ﷺ وَهُوَ حَيٌّ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فَآمَنَّا بِهِ، (تأمّل) وَكَفَرَ بِهِ بَغْياً وَحَسَداً. قَالَ: فَقُلْنَا لَهُ: وَيْحَكَ يَا فُلاَنُ أَلَسْتَ الَّذِي قُلْتَ لَنَا فِيْهِ مَا قُلْتَ؟. قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ لَيْسَ بِهِ»، وقبل هذا وذاك تأمّل قول الله تعالى تجدهُ كما قُلنا: ﴿ **وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا**

جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩]، نعم ! فهذا وجهٌ يقضي به سياق الآيَة في معنى أهل الذّكر ذكرناهُ لإنصاف النفس فيما تراهُ مُمكناً في التّأويل ، **نعم !** ومما يجدر التنبيه عليه هُنا أنّ المُخاطَبين (لهذا الطرف من التأويل للآية) بقول الله تعالى: ﴿**فَاسْأَلُواْ**﴾ هُم غيرُ المسلمين، بل هو خطابٌ لأهل الكفر والشك والريب .

نعم ! وهُناك وجهٌ (طرَفٌ) آخر في تأويل أهل الذكر، وهو يعتمدُ على صلاحيّة هذا الجُزئيّة من الآيَة، في خطاب المسلمين كما صلُح في مخاطبة الكفّار، وإنّما قُلنا أنّه قد يصلحُ أن يكون الخطاب موجّها أيضاً للمسلمين، لإجماع أهل العلم على الاحتجاج بهذه الآية عند الحثّ على سؤال العُلماء، فالخطاب يَصلُحُ خاصّاً لغير المسلمين لمكان سياق الآية، ويَصلح أن يكون عامّا للمسلمين للإجماع، والإجماع الذي نحكيه نابعٌ من عدم استنكار علماء الأمّة على مَن استعملَ هذه الآيَة للحث على طلب العلم من العلماء، ونابعٌ من سكوت أهل العلم أيضاً على معناه والإجماع السكوتي يُؤخَذ به، ونابعٌ أيضاً من أنّه لا تعارُض عند التدقيق في تطبيق خِطابٍ قرآني يخصّ أهل الكتاب، على أهل القبلَة من المُسلمين، وليسَ هذا بمُطلَق ، إذ أنّ هُناك آيات قرآنية خاصّ خِطابها بطائفة من الطوائف لا تُعمّم على غيرهِم من أهل القبلة أوغيرهم، مثال ذلك:

* مثالٌ آياته تُخاطبُ غير أهل القبلة، ويجوز أن نصرفَ وجهها لمخاطبة أهل القبلة من المسلمين:

قول الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [البقرة:١١٤]، فأصله يُخاطب غير أهل القِبلَة من أهل الكتاب والمشركين، وهو مع ذلك يُخاطب أهل القبلة ويُخاطب كلّ من منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسم الله (يُعبد الله فيها) .

* مثالٌ آياتُهُ تُخاطبُ غير أهل القبلة، ولا يجوز أن نصرف وجهها لغير أهلها الذين

خاطبَهُم الله بها:

قول الله تعالى: ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف:١٦٣]، وفيها يُوجّه الرسول ﷺ السؤال إلى أحبار اليهود، فلا يصحّ أن يكون الخطاب جائزاً وجهه في حقّ المسلمين .

نعم ! خلاصَة الإسهاب القريب، هُو ألاّ يظنّ ظان أنّ هُناك تعارضٌ عندما نقول أنّ الخطاب بالسؤال لأهل الذكر، موجّه للكفار، وللمسلمين، فالكفّار يسألون أهل الذكر (أهل الكتاب) **المعاصرين** للرسول ﷺ، والمسلمون يسألون أهل الذكر (وهم العُلماء)، ولكن مَنْ مِنَ العُلماء يُقدّمونَ عند المسألة، هَل الفاضلونَ أم المفضولون، المتبوعون أم التابعون، علماء آل رسول الله ﷺ، سادات بني الحسن والحسين، أم غيرهُم من العُلماء ؟!، لا شكّ أنّ جواب العقل هو سؤال الفاضلين على المفضولين، والمتبوعين على التابعين، هذا ما كان علينا بيانهُ في هذه النقطة، **وخلاصتها أنّ الظّاهر المشهور لمعنى هذه الآيَة هو القول الثاني**، أي أنّ الذين حُثثنا على سؤالهِم هم أهل العلم مِن أهل القبلة المحمديّة، وأهل العلم ليسوا إلاّ ممّن اصطفاهُم الله تعالى بلا شك، والله سبحانه وتعالى فقد اصطفى ذرية علي وفاطمة، ذرية الحسن والحسين، وأخبرَ أنّهم أهل بيت نبيّه، وأنّ العلم الصافي الصحيح لن يَخرُج من دائرة عُلمائهم، وليسَ كل العُلماء العلويين الفاطميين نقولُ عنهُم أنّهم من أهل الذّكر، بل نقول أنّ أهل الذكر منهم هم الذين حافظوا على إجماعات سلفهم من سادات بني الحسن والحسين أصولاً، وفروعاً، وعلى نهجهم واصلوا المسير، فهؤلاء هم الأولى والأحقّ بالسؤال من غيرهِم ممّن آثرَ غير طريق إجماع أهل البيت (ع)، وإن كانوا من بني فاطمة ، نعم ! ولم نذكُر الوجه (الطرف) الأول من التأويل للآيَة، التي فيها أهل الذكر هم أهل الكتاب إلاّ للمُذاكرة، ولما حتّمهُ علينا النظر في سياق الآيَة، والله أعلم .

التّوضيح الثّاني : في بيان طبيعة وماهية سؤال أهل الذكر، وجوابهم:

لعل الجعفرية فهموا مِن مُطلقَ طلب السؤال من السائلين، مُطلَق وجود وحضور الجَواب عند أهل الذكر، أيّاً كان هذا السؤال ؟!، سواءٌ سأَلَ السائل عن الأصول العقائدية والفقهية، أو سألَ عن ذرّات الكَون، وعدد الأعصاب في جسم الإنسان!!، وكمية المواد والصخور على سطح القمر، وكيفية صنع الرؤوس النووية، وعدد الأسماك في البحار، وما تضمر النفوس، وعن عدد الجن وأفعالِهم وقت السؤال، وعن المسافات والاتجاهات بين البلدان الكثيرة الكبيرة، وأمثال هذه السؤالات العِظام، فإن كان مُراد الجعفرية أنّ أهل الذكر في الآية يجب أن يُجيبوا على هذه الأسئلة المُطلقَة بإجاباتٍ مُطلقَة، فقد كابروا، إذ رسول الله ﷺ وهو رسول الله أفضل الخلق أجمعين، لم يعرف طريق المدينة من مكّة إلاّ بواسطة دليلٍ يعرف الطريق، وإن شئت قل لم يعرف أفضل الطرق (التي يسلكها كي لا يتبعه كفار قريش) إلى المدينة إلاّ بدليل، فأين علم الرسول ﷺ المُطلق، الذي كانَ عليهِ بهِ (بهذا العلم) أن يُوجّه ويُعلم مَن معه، لا أنّهم هُم مَن يُعلّمه ويُرشدهُ إلى الطريق !!، هذا قولٌ عظيم، ليسَ العقلُ يُصدّقه ولا يُقرُّه، والعقل حجّةٌ بإجمَاع المُنصفِين ، ألا ترى أخي في الله نبي الله محمد ﷺ، عندما سأله قومه المسائل العِظام الجِسام : ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا *أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً﴾ [الإسراء:٩٠-٩٣]، فانبهرَ رسول الله ﷺ من طلَبهم، وأشارَ إلى أنّه خارجٌ عن يده، وليسَ هو من المُمكنَات لهُ (من تلقاء نفسه) كبشرٍ رَسول، نعم! والحق الذي ندين الله به، أنّ الأمر الذي حثّ الشارعُ أهل السؤال بالسؤال عنه في هذه الآية، هو ما يتعلّق بأمور دينهِم، وما يُنجيهِم يوم حشرِهم، من العلوم الدينية الضرورية التي تهم المُكلّفين وعليها

يُسألون ويُحاسَبون، دون العلوم الدنيوية، فما كان مِن سؤال السائل من أمور الدّين فإنّ عُلماء آل الرسول ﷺ سادات بني الحسن والحسين يُجيبونَ عليه، ولا يَخفى عليهم وجهه أصولاً وفروعاً، ولديهم من العلم ما يكفي ويشفي بإذن الله تعالى، أليس عليُّ بن أبي طالب (ع)، هو القائل: «سَلوني قبل أن تفقدوني»، وأليسَ الإمام زيد بن علي (ع) هو القائل ورايات الجهاد ترفرف على رأسِه في ميدان الجهاد: «مَعاشر الفقهاء، ويَا أهل الحِجا، أنا حجّة اللهّ عليكم، هَذه يَدي مَع أيديكم، على أن نُقيم حُدود اللهّ، ونعمَل بكتاب اللهّ، ونَقْسِم بينكم فَيْأَكم بالسوية، فَاسألوني عن مَعالم دينكم، فإن لم أنبئكم بكل مَا سألتم عنه فولّوا من شئتم ممّن عَلمتم أنه أعلم مني!، والله لقَد عَلِمتُ علم أبي علي بن الحسين، وعلم جَدي الحسين بن علي، وعلم علي بن أبي طالب وصي رسول اللهّ ﷺ وعَيْبَة عِلمه، وإني لأعْلَمُ أهل بيتي، والله ما كَذبتُ كذبة منذ عرفت يميني من شمالي، ولا انتهكت لله محرماً مُنذ عرفت أن اللهّ يؤاخذني، هَلمّوا فاسألوني» [مجموع رسائل الإمام زيد بن علي، قسم خطب ومقالات الإمام (ع)]، وقال (ع) في خطبة أخرى: «سَلونِي، فَوالله مَا تَسألونِي عَن حَلالٍ وحَرام، ومحكَمٍ ومُتَشابَه، ونَاسِخٍ ومَنسوخٍ، وأمَثالٍ وقَصصٍ، إلاّ أنبَأتكُم بِه، والله مَا وقَفتُ هَذا الموقفَ إلاّ وأنَا أعلمُ أهل بيتي بما تحتاجُ إليهِ هذهِ الأمّة» [رواه أبو العباس الحسني في المصابيح]، وأليسَ الإمام النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن هو القائل مُخاطبا قاسم بن مسلم: «يَا قَاسم بن مسلّم، مَا يَسُرّني أنّ الأمّة اجْتَمَعَتَ عَليّ فَكَانَت كَعلاقَة سَوطِي هَذَا، وأنّي سُئلتُ عَن بَابِ حَلالٍ أو حَرامٍ لَم آتِي بَالمخرج مِنه، يَا قَاسِم بن مسلّم، إنّ أضلّ النّاس مَن ادّعَى أمرَ هَذهِ الأمّة ثمّ يُسأل عَن بَابِ حَلالٍ أو حَرامٍ لم يأتِ بِالمخرَج مِنه» [رواه أبو العباس الحسني في المصابيح]، وأليسَ الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (ع) هو القائل مُستحثّا طلاب العِلم وأهله على السؤال: «قد عَفُنَ العلم في صدري، كما يعفن الخبز فِي الجَرّة، إذا طُرِح بَعضُه على بَعض في جرة ثمّ لم يُقلب» [رواه الناطق بالحق الحسني في الإفادة في تاريخ الأئمة السادة]، وأليس

الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين هو القائل مُخاطباً أهل دعوته، وهو ممسكٌ المصحف الشريف: «بيني وبينكم هذا (يعني كتاب الله) آية آية، فإن خالَفتُ ما فيه بحرف فلا طاعَة لي عليكُم، بل عليكُم أن تُقاتلوني أنا»، وأليسَ الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة هو القائل مُستحثّا أشراف المدينة (الجعافرة مذهباً) ، بقولِه : «وبلغنا أنّكم بدأتم بداءةً جيدة، وفيها طيبها وشذاها، ونزهتها ومتعتها، ولكنَّا نخشى الجفوة وقلَّة المعرفة بِسِيَرِ الآباء، وعلوم السلف الصالح من الأئمة النجباء سلام الله عليهم . فلا تقع غفلةٌ عن طلب العلم واقتباسه فإنَّ به يُستضاء في الظلمات، وتُحَلُّ الشبهات، وتُفَك المشكلات، وتعلو الدرجات، **ولو جاء من ناحيتكم إلينا من تكون له رغبةٌ في العلم، وحرصٌ في طلب الخير فلا ضير**، وقد قال تعالى: ﴿ **فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴾[التوبة:١٢٢] [السيرة المنصورية الشريفة، لابن دعثم]، ... إلخ ، الأمثلة الدعوية التي حرصَ فيها سادات بني الحسن والحسين على أن يتواصلوا من خلالها مع أمّة جدّهم، وأن يمدّوا إليهم طرف حبل النجّاة، فعلماء آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حاضرون باذلون لأنفُسهِم لأهل السؤال عن الدين الحق القويم، والحمد لله .

التّوضيح الثّالث : في بيان أنّ ما استدلَ به الجعفرية على صحّة مذهبهم من الآية، باطِل:

وذلك أنّ هذه الآية التي احتجّوا بها علينا، ومنها استنتجوا مُطلقَ السؤال (أيّا كان)، ومُطلق الإجابَة (على السؤال)، سنحتجُ بها عليهم في هدم أصل نصّهم المُتسلسل الاثني عشري، إذ هذه الآيَة تُخبر أنّ المسئول باقٍ ما بَقيَ السائل، وأن السائل متى ما أرادَ السؤال فإنّ أهل الذكر (أهل البيت) يجب أن يكونوا موجودين، يُعايشُهُم السائل ويُخالطُهُم، وإلاّ فكيفَ يسألُهُم وهم غائبون، وعليه فإنّ الأمّة المحمديّة قد فقدت مصداقَ هذه الآية على

شرط الجعفرية، إذ ممّثل أهل البيت عندَهُم غائبٌ غير حاضرٍ للسؤال، فضلاً عن الإجابَة، فهل القرآن معشر الجعفرية خاصّ بأولئك المسلمين المعاصرين لما قبل عصر الغيبة، المعاصرين لأئمة الجعفرية الأحد عشر غير الغائبين عن أهل أزمانهم، ونحنُ يا مَن أتينا بعد عصر الغيبة لا يشملنا خطاب القرآن ولا يخصّنا، إذ قد أمرَنا بسؤال العدَم (فالغائب بهذهِ الغيبَة الجَعفريّة في حكم العدم)، أمرنا بسؤال أهل الذكر (على شرط الجعفرية)، ثمّ لا نجدُ أهلا نسألهُم، بل إن شيعة الغائب لم يجدوا لـه أثراً حتّى يسألوه، نعم ! خلاصَة الإلزام، أن قول الله تعالى: ﴿ **فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾، تَلزمُ وجود المسئول حاضراً ظاهراً غير غائبٍ ، لكي يتمكّن النّاس من تنفيذ أمر الله تعالى، الذي أمرَهُم من خلاله بسؤال أهل الذّكر، وهذا الحال مُنتفٍ على شرط الجعفرية من عام المائتين والستين للهجرَة إلى عام النّاس هذا، فالسائلون موجودون، (ونحنُ منهُم)، وأهل الذكر على شرط الجعفرية (غير موجودين)، فمَن يسألُ السائل يا تُرى ؟!! .

التّوضيح الرّابع : في بيان أنّ ما ذهبت إليه الشيعة الزيدية في أهل الذكر هو الحق بإذن الله:

الإنسان عقلٌ وجسد، والإنسانُ متى ما سخّرَ عقلهُ لمعرفة الصواب من الخطأ، المعقول من اللامعقول، فقد استفاد من عقله واستفادَ عقلهُ منه، ومَن جعلَ عقلَهُ يسبحُ ويهيمُ وراء الأوهام والهواجس والنصوص الروائية الغريبة (التي قد تستهجنها النفس من أوّل وهلةٍ ونظرة)، فهذا لم يستفد من عقله، ولا عقله استفادَ منه، الزيدية وقفَت في نظرَتها إلى (أهل الذكر) في الآية، إلى نظرة وسطية بين الغلو والتفريط، **فأمّا المُغالون** فقالوا: إنّ (أهل الذّكر) هؤلاء هم بشرٌ يعلمون جميع العلوم، يعلمون جميع ما يُسألون عنه، ممّا هُو في البر أو في البحر أو في الجو، مُلمّون بجميع التخصصات العلمية والدينية، **وأمّا المُفرّطون** فقالوا: إنّ (أهل الذكر) هم العلماء سواء كانوا من الفاضلين أو المفضولين، وهذا القول يجعلُ كلّ فرقةٍ من المذاهب الإسلامية المختلفة، تقول: إنّ (أهل الذّكر) هم علماء

مذاهبهِم، فالإباضيّة يقولون إنّ أهل الذكر هُم علماء الإباضيّة، والفرقَة السنيّة يقولون: إنّ أهل الذكر هم علماء السلفية، والأشاعرة يقولون: إنّ أهل الذّكر هم علماء الأشاعرة، ومنه أخي الباحث الحصيف، فإنّ أصحاب القول الأخير قد ميّعوا قول الله تعالى في الآيَة، وأبهموا طريقَ الوصول إليه، وصعّبوه، إذ يستحيل أن يكونَ جميع علماء هؤلاء الفرق المتخالفة هم أهل الذكر وأهل الحق الذين أخبر الله بلزوم سؤالِهم، لأنّ الله لا يأمرُ إلاّ بسؤال أهل حقٍّ وصدقٍ واتّباع . فجاءت الزيدية في منتصف هؤلاء وهؤلاء، وقالت إنّ أهل الذّكر لا يُغالى فيهم ولا في علومهِم، فعلومُهُم علوم الكتاب والسنّة، العلوم التي يحتاجها المكلّف، الضرورية دون الزائدة الدنيوية، فلا أهل الذّكر يجب أن يكونوا مُحيطين بعالَم الأفلاك والنجوم والذرات، ولا يجبُ أن يكونوا عباقرةً في الطّب والفيزياء والكيمياء والصّناعات الحديثة، بل يكون عندَهُم القدر الذي يحتاجهُ المكلّف في أمور دينه، يكون عندَهم القدر الذي سيسألُ الله المُكلّفين عنه يوم القيامة، فالشخص منّا متى جَهِلَ أمور الصلاة حاسبَهُ الله على ذلك، والرّجل منّا متى جهل في علوم الطّب والفلك لم يُحاسبهُ الله على ذلك، وعُلماء الدّين إنما يُسالون عن الدّين ورأي الدّين، ولا يُسألون عن غيره من العلوم الدنيوية كما قد تَحشرُ ذلك الجعفرية، والله المُستعان، **نعم !** كما أنّ الزيدية لم ينقطعُ وجود علماءها علماء آل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، من موت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى يوم النّاس هذا، فهم يشغلون حيّزاً من هذا الكون، يُخالطونَ النّاس، ويُجاهدون، ويُدرّسون، ويُؤلّفون المصنّفات الرائقات، ويُناظرون، ويُجادلون، ويَسعون في نشر دعواتهم وكتبهم إلى أقصى البلدان، إقامةً للحجة، محجةً بيضَاءَ لا دغلَ فيها ولا وَغَل، بينما الجعفرية أقفلوا باب سؤالَ بقية أهل البيت المهدي ابن الحسن العسكري، فلا مسئول من أهل الذّكر يَجدهُ السّائل المتحيّر، ولا حجّةٌ تُقام منه على العباد، فهذا أخي الباحث المُنصف ما نريدُ إيصالَهُ لك بأنّ العقل إذا انجرَّ وراء روايات ونصوص روائية بلا تفهّم وتعقّل وتروّي وتدبّر وتأمّل وتفهّم فسوف يضرّ صاحبَه لا محالَة، **نعم !** وفي مُقابل الغلو الجعفري لم تفرط الزيدية في (مَن هُم أهل الذّكر هؤلاء)، إذ لم تقل إنّهم علماء العامّة من أيّ مذهبٍ كانوا، بل قالت: هم عُلماء متبوعون، فاضلون، هُم جزءٌ مُكمّل لجريان سفينة نوح في هذه الأمّة،

فالالتحاق بركبِهِم هُو الأقبَل والألـزَم، لقـول الله والرّسـول ﷺ الـذي يضـمن بقـاء عُصبة علوية فاطمية متمسّكة بأصول وإجماعات سـابقيهم إلى أن يـرث الله الأرض ومـن عليها، وليسَ لهذا التمسّك أصلاً عند غير علماء الزيدية الفاطميين .

[مُناقشَة قول الله تعالى : ((إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ))] :

إن قيل: ودليلٌ آخَر على النص من الله سبحانه وتعالى، على أئمّة بعينهِم، هـو قـول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[الرعد:٠٧]، فصرّح الله تعالى بوجُود هَادٍ لكل قـوم، وأطلق الإهداء، ولا أحَد مِن غير المنصوص على كونه هاديـا مُطلقـا يُقطـع بأنـه كـذلك ، فيتعين النص على الهادي المطلق لكل قوم عن الله عز وجل، وهو الإمَام .

قلنا: قد فهمنا موضع السؤال، فتفهموا هدانَا الله وإيّاكم الجواب، الذي سندرجه مـن عدة توضيحَات :

التّوضيح الأوّل : في بيان معنى قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُـلِّ قَـوْمٍ هَادٍ﴾:

وفيه اعلم هدانَا الله وإيّاك ، أن حديث رسـول الله ﷺ، يُصـدّق كتـاب الله تعـالى، وكتاب الله لا يردّ على صحيح حديث رسول الله ﷺ، والله تعالى فأرحم الرّاحمين، أرادَ أن يكـون محمـد بـن عبـد الله ﷺ خـاتَم الأنبيـاء والمُرسـلين، فـلا نبـي ولا رَسـول بعدَه ﷺ، والله بنظرَة الرّحمة للعباد، لم يُرد انقطاع سُبُل الهِدايَة عن العباد، وهـو بسـابق علمـه، يعلـمُ أنّ أمّـة محمـد ﷺ سـتختلف، وتفـترق في كتـاب الله تعـالى، بالتأويـل، واختلاف الفهم والتفسير، وستفترق في حـديث رسـول الله ﷺ بالإثبـات والإنكـار، فأرادَ جلّ جلاله ألاّ تنقطع سُبُل الهداية عن العباد لحظةً واحدة، ﴿ **لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَـلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ** ﴾، فحثّ رسولَه الكريم ﷺ، على أن يُخـبرَ النّـاس ويـدُلّهُم عـلى طريقٍ ينتهجوه من بعده لن يضلّوا به أبداً، فحـثّ الرسـول ﷺ النّـاس عـلى الاقتـداء

والاتباع والانقياد لأهل بيته، سادات بني الحسن والحسين، وأخبرَ أنّ الحقّ فيهم ومنهم، ولن يخرُج من دائرة عُلمائهم المُتمسّكين، بأصل كتاب الله تعالى، وصحيح سنة الرسول ﷺ ، وإجماعات سلفهم من بني فاطمة الكرام، فقال الله تعالى، للرسول: ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾ أي مُبلّغ، ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، يهدي النّاس إلى ما بلّغتهُ يا محمّد ونَشرته وأصّلتَه، والزيدية فتقول أنّ المُبلّغ رسول الله ﷺ، وأنّ هُداةَ الأقوام هُم علماء وأئمّة آل رسول الله ﷺ، إذ لم يخلُ زمان من الأزمنة من هداتهم، ولم يمرّ على قومٍ من الأقوام زمنٌ لم يكُن لعُلماء آل رسول الله ﷺ، سادات بني الحسن والحسين، وجودٌ وأثرٌ في الدّعوة وهدايَة من حولَهم، أو مَن طلبَهُم واستغاثَ بهم، فهذه الآيَة مُنطبقَة على مذهب الزيدية، مُنتقضَة على مذهبَ الجعفرية (كما سيأتي بيانه)، ويشهدُ له حديثُنا وحديث الجعفرية، أقوال أئمتنا، وأقوال أئمة الجعفرية (الذي هم أئمتنا دونَهُم عند التحقيق)، فروى الإمام المرشد بالله يحيى بن الحسين الشجري الحسني (ع)، بإسناده، جواب الإمام زيد بن علي (ع) على نفر من أهل الكوفة، منه: «ويحَكُم ! أمَا عَلِمتُم أنَّه لَيسَ مِن قَرن تَمْشُوا إلاَّ بَعثَ الله عز وجل مِنَّا رَجُلاً، أو خَرَجَ مِنا رجُلٌ حُجةٌ عَلى ذلك القرن، عَلِمَهُ مَن عَلِم وجَهِلَه مَن جَهِل»، قلتُ: وبعْثُ الله تعالى هُو إذنهُ، وإرادتُه، تتابُع الهُداة في كلّ زمان . قلتُ: وقولُه: «عَلِمَهُ مَن عَلِم»، أي وقفَ عليه، وعايشَه، وانضوى تحتَ جناحِه، وعرفَ جهتهُ ومكانه، «وجَهِلَهُ مَن جَهِل»، هُم مَن لم يُجهدُوا أنفُسَهُم في السؤال عن أعلام ومذهب آل الرّسول، إذ طالبُ الحقّ مُجتهدٌ في إصابته، ولو لم يكن سلمان الفارسي مُجتهداً في طلب الحق، لَمَا قطعَ آلاف الفراسخ ليقف على شخصّ الرّسول ﷺ، نعم! وليسَ قول الإمام زيد بن علي القريب ينطبقُ على ما ذهبَت إليه الجعفرية، لأنّ إمامهم اليوم لا يَعلَمُ مكانَهُ عالِم، ويَجهلُ مكانَهُ كلّ جاهِل، فلا يُعرف له مكان أو بلاد أو مسجد أو دَعوة ، فالهُداة الذين أخبرَ الله تعالى عنهُم لن يكونوا هُداةً ومُبلّغين لشريعة سيّد المُرسلين، إلاّ وهُم ظاهرون غير غائبين، لهم مكانٌ معلومٌ بعينه عند البعض المجتهد في معرفة الحق،

ومجهولٌ عند مَن لم يُجهِد نفسَهُ معرفة الحق وما أخبرت به آيات الكتاب، ودلّت عليه صحاح الأحاديث، ويَشهدُ لقولِنا القريب هذا، ما رَوتهُ الجعفرية عن أئمتهم المعصومين، فيروي العلامة المجلسي، أنّ الإمام الصادق (ع)، قال: « مَن مَاتَ وَلَيسَ عَليهِ إمامٌ حَيٌّ [تأمّل] ظَاهِرٌ! مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيّة، قِيلَ: إمامٌ حَي ؟ قَال: إمامٌ حَيٌّ، إمامٌ حَيّ » [بحار الأنوار:٢٣/ ٩١]، قلتُ: تأمّل كيف أطلقَ الإمام الصادق (ع) صفة الظهور على الأئمة الهُداة، فالصادق (ع) يعني حقّاً أنّ الهدايَة لا تتحققّ مع الغيبة والغياب، فالظهور شرطُ الهِدايَة وتبليغ الرّسالة، نعم ! وجاء في علل الشرائع: «عن يعقوب السراج قال: قُلتُ لأبي عبد الله: تَخلُوا الأرضُ مِن عَالِمٍ مِنكُم حَيٍّ [تأمّل] ظَاهِر! تَفزَعُ إليهِ النَّاس فِي حَلالِهِم وحَرَامِهِم ؟ فَقَال: « لا، إذاً لا يُعبَدُ الله يَا أبا يوسف » [علل الشرائع:٧٦]، قلتُ: وكذلك نَقول أنّ الهُداة متى كانوا غائبين لم ولن يُعبدَ الله حقّاً حقّاً، وروى الشيخ المفيد في الاختصاص: «عن عمر بن يزيد عن أبي الحسن الأول قال: « مَن مَاتَ بِغيرِ إمامٍ مَاتَ مِيتةً جَاهلية، إمامٍ حيٍّ [تأمّل] يُعرَف!، فَقلتُ: لَم أسمَع أبَاك يَذكُرُ هَذا، يَعنِي إماماً حَيّاً، فَقال: قَدْ والله قَالَ ذَلك رَسُولُ الله: مَن مَاتَ وَلَيسَ لَه [تأمّل] إمامٌ يَسمَعُ لَه ويُطِيع! مَاتَ مِيتَةً جَاهلية » [الاختصاص:٢٦٩]، وهُنا شرطُ الظّهور في الهُداة ظاهِر، لأنّ الغائب لا يُعرف، ومَن لا يُعرَف له أثرٌ أو دَعوة، لم يُرجَ منهُ هدايَة، ثمّ كيف نسَمعُ ونُطيع مَن هُو غائب ؟! فهذه أدلّة على استحالَة اجتماع الهداية من الشخص مع الغياب المُفرط الطويل منه، نعم ! وروى ثقة الجعفرية محمد بن يعقوب الكليني، بإسناده، عن الصادق (ع) أنّه قال: «عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إن الأرض لا تخلو إلا وفيها إمام، كيما إن زاد المؤمنون شيئا ردهم، وإن نقصوا شيئا أتمه لهم» [أصول الكافي:١/ ١٧٨]، قلت: ولكن الأئمة الهُداة لا يكونون كذلك ، أي يردّون ما زادهُ المُسلمون على كتاب الله وسنّة رسول الله، ويُتمّون ما أنقصه المسلمون منهما ، إلاّ متى كانوا ظاهرين مُعايشين مُخالطين لهؤلاء المُسلمين، إذ أنّ هادي الجعفرية اليوم (ومن ألف وماتي سنة تقريباً)، لم يردّ

ما زادهُ المُسلمون، ولم يُتمّ ما أنقصَهُ المُسلمون، فأيّ حجّةٍ في ذلك ؟!!، وأي انطباقٍ تدّعيه الجعفرية لهذه الآية على رأيهِم ومذهبهم وأئمتهم، والله المستعان .

التّوضيح الثّاني : في مُعارضَة الآية: ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، لمذهب الجعفرية في الإمامة والنّص:

الآيَة تُخبرُ أنّ محمد بن عبد الله ﷺ، هُو المبلّغ لجميع الأمّة، وأنّ الهدايَة لهذا التبليغ مُهمّة الهُداة من أهل بيت الرّسول ﷺ، وأنّ لكل قومٍ هادٍ، فالإمام علي (ع)، هو الهادي للقوم المُعاصرين له، والحسن بن علي (ع) هو الهادي للقوم المُعاصرين له، وكذلك الحال مع الحسين (ع)، ومع بقيّة أئمة الجعفرية إلى المهدي ابن الحسن العسكري فإنّ الأقوام الذين عاصروه لم تحصُل لهم أي هِدايَة منه (وهو الهادي المُكلّف نصّا بالهداية على شرط الجعفرية)، وعليه فإن فائدة الآية وإخبار الله قد انقطَع !!، وسياق الآيَة يقتضي الإطلاق إلى آخر الزّمان، مع العلم أنّ هناك مئات الأقوام الذين عاشوا على الأرض من بعد وفاة الحسن العسكري إلى يوم النّاس هذا، فمَن هُم هُداة هؤلاء الأقوام ؟! ثم أليسَ من الواجب (كما أظهرَت الروايات الجعفرية القريبة)، أن يكون هُداة هؤلاء الأقوام لهم مكانٌ معلومٌ على وجه البسيطة، ليتحقّق شرطُ الهِدايَة ؟!، **نعم** ! ومنه أخي الكريم، لاشكّ أنّك قد وقفت على مغزى كلامنا هُنا، من ردّ هذه الآية على عقيدة الجعفرية النصيّة على الأئمّة، لانقطاع هُداتهم عن هداية الأقوام، فأمّا على شرط الزيدية فعلماء آل رسول الله أئمةً أو مُقتصدين يسعون جَهدهُم (كما كان الإمام علي (ع)، يسعى جَهدَه)، لإيصال الحقّ إلى طالبيه، وللإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة في هذا المعنى كلامٌ نفيس، إذ قال(ع): «فَأخبر [الرسول ﷺ] أنَّ الوَلِي المُوَكّل مِن أهلِ بَيتِه يُعلنُ الحَقَّ، ويُنَوّره، فَهَل يُنوّرُه إلا وهَو حَاضِرٌ غَيرٌ غَائب ؟! مُقَاومٌ غَيرُ هَارب ! يَردَعُ أهلَ البِدَع بالبُرهَان، وأهلَ السّطوةِ بالسّيفِ والسِنَان ؟! ولا فَرضَ عَلى القَائمِ أنْ يَقهَرَ الخلقَ، وأنْ يَملِكَ الأرضَ،

وإنّما فَرضُهُ إبلاءُ العُذرِ فِي إعزَاز دِينِ اللهّ، والجهادِ فِي سبيلِ اللهّ، قَال اللهّ تعالى: ﴿ **لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾، و﴿ **لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا** ﴾ ، فَقَد يُعبَدُ اللّــه تعـالى بِبَـذلِ الجُهدِ واستفرَاغِ الوُسْعِ فِي إعْزَازِ دِينِ اللهّ، وصَلاحِ أمُورِ المُسلمين، فإذَا تَوارَى عَن الأمّـة، وغَاب عَن أوليائه وأعْدائه، كَانَت لَهُم الحُجّة عَلَيه!!، أمَّا أولياؤه فَيقُولون: لَو أتيتَ لفَعَلنَا وصَنَعنَا وبَذَلنَا أرْواحَنَا وأمْوالَنَا، وأمَّا أعداؤُهُ فَيقولون: لَو ظَهَرَت حُجّةُ اللّــه لأطَعْنَـا» ، اهـ كلامُه (ع) . .

فائدة أخرى من الآيَة:

وهي أنّ في الآية دلالة على أنّ أعداد الأئمة غير محدودين، ولا معدودين، كـما ذهبَـت إليه الجعفرية، لأنّنا متى عَددنا الأقوام من زمن الرّسول ﷺ إلى يومنا هذا، لوجـدناهُم يزيدون على العشرين، ونعني بالأقوام الأجيال (الفـترة الحياتيـة المتوسـطة التـي يعيشـها الرّجل، أي كلّ خمسين عاماً تقريباً)، فلو قسّمنا الفترات الماضية خمسين عاماً خمسين عاماً، لزادَ عدد الأقوام عن الخمسة والعشرين قوماً، وليسَ هـذا بحسـابٍ دقيـق، ولـيسَ عليـه يُعتمد في تحديد أعداد الأقوام من زمن رسـول الله ﷺ إلى يومنـا هـذا، إلاّ أنّـه يُعطـي تصوّراً بسيطاً على وجود أكثر من اثني عشرَ قوماً قد مرّت على المسلمين من زمـن رسـول الله ﷺ، إن قيل: على أي أساسٍ بنيتُم هذا ؟! قُلنا: علي (ع) كان الهادي قومِه، والحسن (ع) كان الهادي لقومٍ غير قوم أمير المؤمنين (ع)، والحسين (ع) كان الهادي لقومٍ غـير قـوم أخيه الحسن(ع)، وزين العابدين (ع) كان الهـادي لقـومٍ غـير قـوم أبي عبـد الله الحسـين، والباقر كان الهادي لقومٍ غير قوم أبيه زين العابدين، والصادق (ع) كان الهادي لقـومٍ غـير قوم أبيه الباقر، ....، والحسن العسكري كان الهادي لقومٍ غير قوم أبيه علي الهادي، ومحمد المهدي كان الهادي لقومٍ غير قوم أبيه الحسن العسكري، **نعم !** والقرآن أخبرَ أنّ لكلّ قـومٍ هادٍ، والهادي قلنا شرطه الظهور ليكون هادياً، فما حال القوم الذين أتوا بعد القـوم الـذين

عاصرَهُم المهدي الجعفري (في بداية إمامته)، القوم الذين عاشوا في القرن الخامس مَن هُو الهادي لهم ؟! والقوم الذين في أواخر القرن الخامس من هُو الهادي لهُم ؟! والقـوم الـذين في منتصف القرن السادس مَن هُو الهادي لهم ؟! والقوم الذين في آواخر القـرن السـادس مَن هُو الهادي لهم، وهكذا ؟!! فالقرآن أخبرَ أنّ لكـل قـومٍ هاديـاً، وهـذا يعنـي أنّ هُنـاك امتدادٌ لخطّ سير الإمامة بامتداد عـدد الأقـوام إلى آخـر الزّمـان، وهـذا هـو قـول الزيديـة المَرْضيّة، فكما كان هادي القوم في منتصف القرن الأول الهجري هو عـلي بـن أبي طالـب، وهادي القوم منتصف القرن الثاني الهجري هو جعفر الصادق، وقوم علي (ع)، غـير قـوم الصادق (ع)، والهادي في منتصف القرن الأول، هو غير الهادي في منتصف القـرن الثـاني، فإنّ الهادي في منتصف القرن السادس الهجري هُو غير الهادي في منتصف القـرن الثالـث، وكذلك قوم الهادي لمنتصف القرن الثالث، غـير قـوم الهـادي لمنتصـف القـرن السـادس، وعليه فلكلّ قومٍ هادٍ غير الذي قبلَه، خصوصاً إذا طالَت المـدّة وتباعـدَت، فهنـاك علاقـة طردية، إذ كلّما تقدّم الزّمان، زاد عدد الأقوام، وكلّما زادَ عدد الأقوام، زاد عدد الهُـداة، إلى أن يأتي آخر الزّمان فيكون قومهُ آخر الأقوام، ويكون المهدي محمد بـن عبـد الله هُـو آخـرُ الهُداة، ومنه أخي في الله فإنّا نشدّد عليك المسألَة أن تتأمّل ما أوردناهُ ففيه فائدةٌ غير خافية، وباستلهامِها تُسقِطُ هذه الآيَة ﴿ إِنَّمَا أَنـتَ مُنـذِرٌ وَلِكُـلِّ قَـوْمٍ هَـادٍ ﴾ الـنصّ عـلى الأئمّـة المحدود بالأرقام، فلا الأئمّة سبعةٌ، ولا الأئمّة تسعةٌ، ولا الأئمـة اثنـا عشرـ، ولا الأئمـةّ مائة أو مائتان، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين .

[مُناقشَة قول الله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْـرِ مِنكُمْ))] :

إن قيل: ودليلٌ آخَر على النص من الله سبحانه وتعالى، على أئمّة بعينهم، هـو قـول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَـازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾

[النساء:٥٩]، فَقرَن طاعَة أولي الأمر بِطاعَـة رَسـول الله مُطلقـا، وَطاعَـة رَسـول الله ﷺ وَاجبةٌ مُطلقا فَطاعَة أولي الأمْر كَذلك، ولا أَحَدَ مِن غَير المَنصُـوصِ عـلى وجـوب طَاعَتِـه مُطلقا تجب طاعته مُطلقا، فَيتعيّن النّص على مَن تَجِب طَاعَتهم مُطلقاً وهُم الأئمّة .

قلنا: ليسَ الأمر كما ذهبتَ إليه أخي الجعفري من لزوم الطاعَة المُطلقة لأولي الأمـر في الآيـة لاقـتران ذكـر طـاعَتِهم بطاعـة الله والرّسـول ﷺ، وبالتـالي نَسـتنتجُ مـن هـذا عِصمَتَهُم، ولو كان ذلكَ كذلك لثلّثَ الله بهم عندما قال: ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾، فذكر الله جلّ جلاله، نفسَه ورَسُـولَه، ولَم يَذكُر وُلاةَ الأمر، وعليه لو كان أولو الأمر فِعلاً لهم طاعةٌ مُطلقَةٌ تقضي عِصـمَتَهُم، أو تحديد أشخاصِهِم وأسمَاءهم (بالنّص)، لثلّث الله تعالى بهم، وأمرَ النّاس متـى مـا تَنـازعُوا أن يـردّوا الأمـر إلى كتـاب الله تعـالى، وإلى سـنة الرسـول ﷺ، وإلى الأئمـة المُسـمَّين المُحدّدين المعصومين (أئمة الجعفرية، أولي الأمر)، ولعلّ سائلاً يسـألُ فيقـول: فمَـن هُـم أولوا الأمر في الآيَة ؟! وما حالُ أولي الأمر هؤلاء هل هُم معصومون أم غير ذلك ؟! فـإن كانوا معصومين فلماذا لم يحثّ الله تعالى على الردّ إليهم عند التنازع، كما حثّ على الردّ إليـه وإلى رسوله ؟! وإن كانوا غير معصومين فبيّنوا لنا ذلك ؟!، وجواباً على هـذا كلّـه نقـول: اعلم رَحِمنا ورحمك الله تعالى، أنّ أولي الأمر في الآيَة، هُم الأئمّة العُلماء، وليسَ كلّ العُلـماء حثّ الله على طاعتِهم، إذ لم يحثّ الله تعالى، ورسوله، عـلى طاعَـة أئمـةِ العلـم عـلى سـبيل الجزم بصحّة المنهَج، إلاّ أن يكونوا من أهل بيت رسـوله ، قـال رسـول الله ﷺ: ((إنّي تاركٌ فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا من بعدي أبـداً، كتـاب الله وعـترتي أهـل بيتـي، إنّ اللطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)) ، وقـال ﷺ: «مثـل أهـل بيتي فيكم كسفينة نوح مَن ركبها نجا ومَن تخلّف عنها غرقَ وهَوى»، فهذا حـثّ مـن الله ورسـوله ﷺ ودلالـة عـلى أنّ أئمّـة العلـم مـن أهـل هـذا البيـت الفـاطمي الحسـني والحسيني، لَن يُخالفوا منهجَ الله، ولا مَنهَج رسوله، والله تعالى في الآية قد حث على طاعـةِ أُنـاسٍ قـرنَ صـحّة طـاعتهِم ودعـوتهم بطاعـة الله ومنهجـه، وطاعـة رسـول الله ﷺ

ومَنهَجه، فقال جلّ شأنه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾، فأولي الأمر هؤلاء يجب أن يكونوا مَرضيّينَ عند الله تعالى، ونحنُ نَقولُ إنّه لا مرضيّ بجزمٍ وعزمٍ إلاّ من أخبر عنهم الله ورسوله أنّ الحقّ لن يخرج عنهم (وهم أهل البيت)، وأنّ إجماعاتهم حجّة الحُجَج، فمتى كان الإمام العالم من بني الحسن والحسين مُقتدياً بالكتاب، وصحيح قول الرسول، وثابت فعل علي بن أبي طالب، وابنيه الحسنين، وسادات بني الحسن والحسين السّلف السابقين، كانَ هذا الإمام هُو وليّ الأمر المقرونَةُ طاعَته بطاعة الله و طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الآيـة، **نعم** ! ولا نُسلّم للجعفرية أنّ وُلاة الأمر في الآية أشخاصٌ مَنصوصٌ عليهم معصومون، لأنّ آخرَ الآيَة يُفسّر أوّلها، فالآية تُخبرُ أنّ هُناكَ أموراً إن تنازَعَ حولَها المُسلمون وجبَ عليهم ردّ الخلاف والحُكم إلى الله تعالى، وإلى رَسوله، ولكن ما هِيَ هذه الأمور التي تقصدُها الآية (الأمور محلّ التنازُع من النّاس)، خصوصاً والآيَة تحثّ على الطّاعة، فهي في الأمارَة أوضَح وأليق بدليل الحثّ على طاعَة أولي الأمر، **نعم** ! فما هي الأمور التي يُمكن أن يتنازَعَ النّاس حولَها ممّا يخصّ أمر الإمامة والأمارَة ؟! ليسَ إلاّ صلاحية الإمام القائم (ولي الأمر) مِن عدَمِه، فالبعض قد يرى أنّ الإمام القائم من بني فاطمة ليس مُستحقّاً وليسَ أهلاً للقيام، إمّا لنقص علمه عن القدر الواجب توفّره في الإمام، وإمّا لسوء سيرته، وإمّا لعدم حنكته وقلة تدبيره، وأمثال هذه الجرائح التي قد تُوجّه للإمام الفاطمي الحسني أو الحسيني القائم، وهُنا يحثّ الله المؤمنين على تحكيم كتاب الله تعالى، وسنّة رسوله، فيما اختلَفُوا فيه من حالِ هذا الإمام (ولي الأمر)، وهُنا تأمّل كيفَ أنّ الله لم يُثلّث بوجوب الرّد إلى الله وإلى الرسول وإلى ولي الأمر في الآيَة، فعندَ التأمّل ستجدُ أنّ وليّ الأمر نَفسَهُ هُو المُرادُ في الآيَة بمحلّ تنازُع المؤمنين حولَه، ومتى كان هُو محلّ التنازُع لم يصحّ أن يأمُرَ الله تعالى بالردّ إليه، بل أمرَ بالرد إلى كتابه الكريم، وإلى سنّة نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وعَرض حال ولي الأمر هذا على الكتاب والسنّة، فإن أقرّاه كان هُو الإمام، وإلا لَم يكُن إماماً مفروضاً طاعته، ومنهُ أخي في الله ستعرِفُ أنّ حالَ أولي الأمر هؤلاء حالُ البشَر العاديين غير المعصومين، الذين يُقوّمهُم

الكتاب والسنّة، وهما (الكتاب والسنة) المسئولان عن تثبيتها أو خلعها ، **إن قيل**: فما يَمنَعُ أن تكونَ الأمور المُتنازَع حولَها التي ذكَرَتها الآيَة، هي أمور دنيوية أو دينية، كالخلاف حو مسائل الأحكام، والعقائد ؟! **قُلنا**: لو كانَ الأمر كما قلتُم، لأمرَ الله بالرّد إلى وُلاة الأمر أيضاً والنزول عندَ حُكمهم، لأنّ حالَهُم سيكونُ مرضياً عند الله تعالى، ورضاهُ عنهُم لعدم اعتراض أحدٍ على إمامتِهم بوجهِ حقّ، ولن يَصلوا إلى ولاية الأمر إلاّ بالعلم الغزير، والعمَل الجهيد في مرضاة الله تعالى، وللزيدية في ولي الأمر الفاطمي الحسني أو الحسيني شروطٌ عَسِرَة فيها من التثبّت ما يَشهدُ له الكتاب وصحيح السنّة، فهؤلاء الأئمّة (ولاة الأمر) قادرون على استنباط الحكم من الكتاب وصحيح السنّة، فالردّ إليهم في مثل هذه التنازُعات واجب، ألا ترى الله تعالى يحثّ إلى الرجوع إليهم في الأمور الدينية والدنيوية المُتنازَع حولَها في قوله: ﴿ **وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾[النساء:٨٣]، فالحث بالرجوع إلى أولي الأمر في الآية القريبة، تعني فيما تنازع فيه المسلمون، أو اشتبه عليهم أثره من أمور الدين والدنيا، فحثّ الله على الرجوع إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وإلى أولي الأمر (أئمة أهل البيت، سادات بني الحسن والحسين)، **وخُلاصة الإلزام السّابق**: هُو أنّ وُلاة الأمر الذين حثّنا الله على طاعَتِهم في الآية محلّ النقاش، مُقيّدَةٌ طاعَتُهُم بشهادَة الكتاب والسنّة لفِعلهِم وحالهِم، فمتى أقرّهم الكتاب والسنة كانوا أئمّة النّاس وأمرائهُم، ومتى اعترض عليهم الكتاب والسنة لم يكونوا من الإمامة في شيء، وهذا الشرط من الله تعالى يَجعلُنا نجزمُ أنّ حال وُلاة الأمر هؤلاء، حال البشر العاديين غير المعصومين، إذ لو كانوا مَعصومين، فهم مَنصوصٌ عليهِم، ولو كانوا معصومين ومنصوصاً عليهم لكانوا قطعاً في جميع أحوالهِم مع الكتاب وصحيح السنّة، ومتى كانوا في جميع أحوالهِم مع الكتاب وصحيح السنّة، وجبَ الرّد إليهم فيما تنازَعَ فيه المُسلمون من أمور، والله تعالى لم يذكُر وجوب الرّد إليهِم في قوله تعالى: ﴿ **فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ**

الآخِرِ﴾، ومنه فلا عِصمَة لأولي الأمر (الأئمّة الفاطميون القائمون)، **نعم !** وفائدةٌ أخرى في عدم عِصمة، وبالتالي عدم النّص (الجعفري) على أولي الأمر في الآيَة: هُو أنّ الآيَة لو أتت بصيغة الأمر الوجوبي المُطلق في كلّ الأحوال بطاعة ولاة الأمر لكانَت الآيَة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ **وأطيعُوا** أُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾، قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ** ﴾ فيه طاعة الله واجِبَة مُطلقاً، أتت بصيغَة الأمر، ﴿ **وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ** ﴾ فيه طاعة الرسول ﷺ واجبَة مُطلقاً، أتت بصيغَة الأمر، ﴿**وَأُوْلِي الأَمْرِ**﴾ فيه طاعة أولي الأمر واجبة، ولكنها مشروطَة، بأن يُصحّحها الكتاب والسنّة (وتقدّم قريباً الكلام على الولاية الخاضعة للكتاب والسنّة وعلاقة النص والعِصمة بها)، فمتى صحّح الكتاب والسنة ولاية الإمام الفاطمي القائم بالكتاب والسنة كانت طاعتهُ واجبَة، ومتى أدانَاهُ لم يكُن بواجب الطّاعَة . **إن قيل:** لماذا حكمتُم بالطاعة الواجبَة المُطلقَة غير المشروطة في حقّ الله، والرّسول، دون ولاة الأمر، مع أنّ (أولي الأمر) سُبقَت بحرف عطف، والمعطوف والمعطوف عليه لهما نفس الحكم، **قلنا:** سبب الشرط في طاعة أولي الأمر بالخضوع لحكم الكتاب والسنة، سببان اثنان: الأوّل: أنّ الآيَة جاءت بصيغَة الأمر الإلزامي المُطلَق المُوجِب للطاعَة في حقّ الله تعالى ﴿ **أَطِيعُواْ اللّهَ**﴾، وجاءت بصيغة الأمر الإلزامي المُطلَق للطاعة في حقّ الرسول ﷺ ﴿ **وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ** ﴾، وأفادَ الإطلاق للطاعَة في حقّ الله والرّسول، تخصيص طاعتهما بفعل الأمر المُباشر، وهو كلمة ﴿ **أَطِيعُواْ**﴾، كما أفاد طاعَتَهُما الطّاعة المُطلقَة الإلزامية غير المشروطَة، الأمر بالرّد إليهم ﴿ **فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ**﴾، وبعد الرّد إليهما، يكونُ طَاعتهما فيما حَكما به، وهذه القرائن كلّها تعني الطاعة المُطلقَة غير المشروطَة في حقّ الله والرّسول ﷺ، وهي التي تَعني العصمة حقّاً حقّاً، أمّا (أولي الأمر) في الآيَة فإنّها خلَت عن الأمر المُباشر بالطّاعة، كلمة ﴿ **أَطِيعُواْ**﴾، وإنّها ألحقت بحرف العطف (و) ، ثمّ تحقّق الشّرط في تقويم الكتاب لهم، وعدم الحكم بالطاعة المُطلقَة، في عدم حثّ الله تعالى على طاعتهِم والرّد إليهم فيما تنازَع فيه النّاس من أمر (صحّة إمامتهم كما تقدّم)، فلم يَقُل الله

تعالى بطاعةٍ لهُم مُطلقة غير مشروطة بقوله **فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِّ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ** : ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِّ وَالرَّسُولِ **وأولي الأمرِ منْكم** إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ بل قال جلّ شأنه: ﴿ **فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِّ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾، تنبيه هذا الكلامُ كلّه يخصّ الأمور المُتنازَع فيها حول ولاة الأمر أنفُسهم، وهل تجب طاعتهُم، أم لا (فهو في الأمارة والإمامة) .

السؤال الموجّه للجعفرية: لماذا لم يُثلّث الله بوجوب الرّد إلى أولي الأمر في الآية، كما أمر بالردّ إليه وإلى رسوله ﷺ ، خصوصاً مع إثباتكم وقولكم بعدم مفارقة أئمتكم لحكم الله وحكم الرسول طرفَة عين ؟! ولماذا اقتضَت الحكمة الإلهية البلاغيّة أن لا يُسبَقَ الحث على طاعة أولي الأمر، بصيغة الأمر المُباشر «وأطيعُوا» ؟!!

*** فائدة مهمّة حول أولي الأمر في قول الله تعالى: «وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً»:**

هذه الآيَة تشهدُ تماماً لعقيدة الزيدية في أهل البيت (ع)، وأنّ اصطفاء الله تعالى لهم (لجميع ذرية الحسن والحسين) كان جُملياً، اصطفاءً وهُم في أصلاب آبائهم، فمنهُم بعد أن يخرجوا إلى هذه الدنيا مَن يكون ظالماً لنفسه، وإنّما سُمّي بالظّالم لنفسه، لأنّه ظلمَ نفسَهُ حظّها، وأنزلَها غير المَنزل الذي أنزلَها الله إيّاه، وهؤلاء هم العصاة من بني فاطمة، ومَن بدّل مَنهجَ الكتاب والسنة وإجماعات سلفه من أهل البيت المعصومة عن مُخالفَة الكتاب العزيز، ومن الفاطميين الحسنيين والحسينيين مَن هُو مُقتصد عابدٌ زاهدٌ مُحيي الليل بالعبادة، والنهّار بالزهد وأعمال الفلاح، ومن الفاطميين سابقٌ بالخيرات عالمٌ عاملٌ عابدٌ مُجاهدٌ آمرٌ بالمعروف وناهٍ عن المُنكر، وهذا كله من قول الله تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِّ**

ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر:٣٢]، كما أنّ الرسول ﷺ، بقوله: «إنّي تاركٌ فيكم ما إن تمسكّتم به لن تضلّوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي إنّ اللطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»، وقوله ﷺ: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرِقَ وهوى»، حثّ ﷺ على التمسّك بالمُقتصدين حقّا حقاً من بني فاطمة (المُتابعين لإجماعات أسلافهم من بني فاطمة التي لن تُخالف الكتاب)، وحثَّ على التمسّك بالسابقين بالخيرات حقّا حقّا الأئمة الهُداة (المُتابعين لإجماعات أسلافهم من بني فاطمة التي لن تُخالف الكتاب)، فمَن أمرنَا الرسول ﷺ بالتمسّك بهم، والركوب في سفينتهم، هُم أهل العلم من المُقتصدين، وأهل السّبق الأئمة الهُداة من بني الحسن والحسين، دون الظالمين لأنفُسهِم، لأنّ الظالمَ لا ركونَ عليه، والله قد استثنى الظالمين من أهل البيت من حظ التمسّك والاتّباع والإمامة في الدّين والدنيا بقوله: ﴿ **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾، وذرية إبراهيم فهم ذرية محمد ﷺ، وذرية محمد فهم ذرية الحسن والحسين، والظالمون من هذه الذرية ليس لهم حظٌ في الاقتداء والتبعيّة، فالحقّ كل الحقّ في الاقتداء بالصالحين من هذه الذرية (المقتصدين، والسّابقين بالخيرات، المتمسكّين بإجماعات سلفهم من أهل البيت)، نعم ! وبعد هذه الديباجة، نأتي على قول الله تعالى: ﴿**وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾، الذي فيه تأكيدٌ لنظرية ونظرَة الزيدية إلى أهل البيت (ع)، ففي الآية يقول الله تعالى: ﴿ **إِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ**﴾ أي المُنافقون كما في سياق الآية لمن تدبّرها، وعموماً فيدخل تحت هذا المعنى أهل الرّيب والشّك والحيرة في أمر الدين، ﴿**وَلَوْ رَدُّوهُ**﴾ أي ولو ردّ الناس مَا التبسَ عليهم من أمر دينهِم، ﴿ **إِلَى الرَّسُولِ**﴾ إلى صحيح سنّة الرسول ﷺ، ﴿ **وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ**﴾ وإلى أولي الأمر من النّاس، وأولو

الأمر من الناس هُم أهل البيت بعموم (أصحاب الاصطفاء الجُملي، جميع ذرية الحسن والحسين)، ﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ لَعَلِمَ أصلَ المسألة المُتنازَع حولَها، أو المُشكّك فيها، أو المُشتبَه وجهها، لعَلمَ وجه الصّواب، المُقتصدون أو السّابقون بالخيرات من أولي الأمر هؤلاء (عموم ذرية الحسن والحسين)، فيكون المعنى للآية: لو أنّ النّاس إذا جاءهُم أمرٌ التبسَ عليهُم وجهه، وتنَازعوا وجه الحقّ فيه، ممّا يخصّ أمور دينهم، لو أنّهم في هذا الحال ردّوا ما تنازعُوا فيه إلى صحيح سنّة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وإلى أولي الأمر من النّاس، (ذرية الحسن والحسين بعموم)، لَعلِمَ وجه الحقّ في المسألة، المُستنبطونَ منهُم (من عموم ذرية الحسنين)، وهُم المُقتصدون، والسابقون بالخيرات، ومن هذا القول أخي الباحث ستجدُ أن قولنا القريب في آية فاطر، وحديث الثقلين، وحديث السفينة، بشأن التعميم بالتبعية لأهل البيت (جميع ذرية الحسن والحسين)، ثم التخصيص بالتبعية (للمُقتصدين، والسّابقين بالخيرات العلماء، دون الظّالمين)، هو نفسُ ما أقرّته الآية القريبة، فإنّها حثّت بالرجوع (إلى ولاة الأمر بعموم، وهم جميع الذرية الفاطمية)، في قوله: ﴿ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ﴾، ثمّ خصّ الله تعالى أهل العلم (من عموم ولاة الأمر، جميع الذريّة)، بقوله: ﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ أي لَعلِمَهُ العُلماء من ولاة الأمر، ومنه فإنّ وُلاة الأمر هُم جميع الذرية الفاطمية الحسنية والحسينية، ولكنّنا لا نردّ العلم والاتّباع إلا إلى العُلماء منهم ، مقتصدين، والسابقين بالخيرات، دون الظالمين العَاصين، وهذا هُو قولُنا في حديث الثقلين، فإنّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وصّى بأهل البيت بعموم، ولكنّ التبعية الحقّة هي للعلماء منهم دونَ الظالمين العاصين، فإن قالت الجعفرية: وهذا هُو عينُ قولِنا، فالمرجعيّةُ هُم علماء بني فاطمة المُستنبطين، وليس مُستنبطٌ ولا عالمٌ إلاّ الاثني عشر منهم . قُلنا: هذا تحكمّ منكم في القول، لأنّ كتاب الله (ممّا قد استعرضناهُ في جميع هذه الرسالة من آيات)، وحديث (الثقلين، والسفينة، والنجوم) التي أجمعنا وإياكم على صحتها، لا تدلّ إلاّ على عموم، وتَنفي النّصوص من هذا العموم على أفرادٍ دونَ أفراد، بل

تجعل الجميع أهلاً لولاية الأمر، إن هُم عَمِلوا بالكتاب والسنة وإجماع سلفهم من أهل البيت، إذ الآيات كلّها وكذلك الأحاديث التي استعرضناها لا تَمنَعُ من أن يكون الفاطمي الظّالم لنفسه بالمعاصي، مُقتصداً، أو سابقاً بالخيرات، لو أنّهُ عَمِلَ بعمَلهم، ولزيادة التفهيم لهذه المسألة سنضرب مثالاً على الآيَة القريبة ، ولله المَثل الأعلَى :

مثال:

وصّى المَلك بالإمامة الدينية والدنيوية، لولديه الحسن والحسين، ولأبنائهما من بعدهِما، ولكنه اشترطَ الصّلاح في المؤهّل للإمامة، فقال لأبنائه وأبناء أبنائه بعد أن جَمعَهُم في بيته: إنّه سيكون فيكم ظالمٌ لنفسه يعمل المعاصي، وسيكون منكُم مُقتصدون مُجتهدون في إرضاء الله، وسيكون فيكم سابقون بالخيرات عُلماء أكفّاء عاملون مُجاهدون، ذائدون عن الشعب والرعيّة، وعن حُرَم الله تعالى [1]، وإنّي قد جعلتُ الإمامةَ محصورةً فيكم، وجعلتُ شرطَها ألاّ تكون إلاّ لأهل الصّلاح منكم دون الظّالمين العُصاة[2]، فاجتهِدوا جميعاً في التعلّم والصلاح، والبُعد عن الفواحش والرذائل، كي تكونوا صالحين للإمامَة، [وهُنا جميعُ ذريّة المَلك بنصّ عامٍ جُمليٍّ داخلون في الصلاحية للإمامة، متى ما حقّقوا شرط أبيهم، وهو الصّلاح، وهُو قولُنا إنّ جميع ذريّة الحسن والحسين (ع)، داخلون في الصلاحية للإمامة، وهُم وُلاة الأمر، متّى حقّقوا شرطَ الله تعالى، وهو البُعد عن الظُّلم والعصيان، قال الله تعالى بعد أن وافقَ لإبراهيم بأن يجعل الإمامة في عموم ذريته، قال مُستثنياً: ﴿لا يَنال عهدي الظالمين﴾، وهو نفس شرط الملك في مِثالنا القريب، فإنّه وافق على أن يكون جميع ذريّته صالحين للإمامة، وولاية الأمر، متى ما ابتعدوا عن الظّلم وتحلّوا

---

(١)قال تعالى : ((ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)) .

(٢)قال تعالى : (((وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)) .

بالصلاح]، نعم ! ثم أصدرَ المَلك بياناً عمّمه على جميع الرعيّة، تضمّن عدّة بنود، منها:

١ -أيّها النّاس أطيعوا الله أولاً، وأطيعوا الرّسول ثانياً، وأولي الأمر منكم من ذريّتي (الإمـام)، فإن تنازعتُم وشككتُم في ولي الأمر هذا، من أنّه لم يُحقّق شرطَ الصلاح الذي اشترَطتُهُ على جميع ذريتي ليكونوا مُناسبين للإمامة، والذي به (شرط الصلاح) تكون إمامتهم صحيحة، وبدونه تكون باطلة، فردّوا الأمور إلى الدّستور الحاكم الذي وضَعته، واعرضوا حالَ هـذا الإمام (ولي الأمر القائم)، على دستوري (الكتاب والسّنة وإجماع السّلف من أهل البَيت) ، فإن وجدتموه مُطابقاً لقولي فيه، وإلاّ ليس هُو بإمامٍ صالِح . [وهذا هُو عين كلامنا في قـول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهّ وَأَطِيعُـواْ الرَّسُـولَ وَأُوْلِي الأَمْـرِ مِـنكُمْ فَـإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهّ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِـكَ خَـيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾، ومنهُ فليسَ هُناك دليلٌ على وجود نصٍّ جعفريٍ بعينه عـلى أشـخاص محدودين معدودين بل هُو عامٌ في جميع الذرية الفاطمية، فمَن قام بالإمامة مـنهم، وشـكّ النّاس في أهليّته، عرضوا حاله على كتاب الله تعالى، وسنة رسـول الله ﷺ، وإجماعـات السلف الفاطمي الذي قد استحقّ مقام الإمامة بجدارة، فمَن وافقَ عليه الكتـاب والسـنة والإجماع الفاطمي، كان هُو الإمام حقّـاً، ومَـن خـالف عليـه الكتـاب والسـنة والإجمـاع الفاطمي، لم يكُن بإمام، ومنه فلا مَكان ألبتة لأن يكون هُناك عـدد محـدّد لأئمـة، أو نـصّ خاصّ في بعض هذه الذرية الفاطمية، أو ذريّة المَلك في مثالنا القريب] .

٢- أيّها النّاس إذا استشكلَ عليكم أمر من أمور دينكم، وتنازَعتُم حولَـه، فـردّوه إلى الرسول ﷺ ، وإلى أولي الأمر منكم، أي اتجهوا إلى عموم ذريّتي، فـإنّ أهـل الصـلاح وأصحاب العلم من ذريتي اللائقين بمقام الإمامة، سيحلّون مـا اشـتبه علـيكم وجهـه . [وهذا هُو عين كلامنا في قول الله تعالى: ﴿**وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِـهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّـهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾، ومنـهُ فلـيسَ هُنـاك دليـلٌ عـلى وجـود نـصّ

جعفري على أئمة بأعينُهم محدّين محدودين معـدودين، بـل إنّـه يُعضّـد قـول الزيديـة في الاصطفاء العام لجميع ذرية الحسن والحسين، ثم التّكليف بالعمل لنيل درجـة الإمامـة في الدّين والدنيا]، والحمد لله وبهذا المثال نختم الكلام حول هذه الآيات .

[مُناقشَة قول الله تعالى : ((اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ))] :

إن قيل: ودليلٌ آخَر على النص من الله سبحانه وتعالى، على أئمّة بعينهِم، هـو قـول الله تعالى: ﴿ **اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَـيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ**﴾ [الفاتحة:٦-٧] ، فأطلق الله الاستقامة في طريق من أنعم عليهم، ولا أحـد مـن غير المنصوص عليهم باستقامة الطريق يُقطَع باستقامَة طَريقِه، فَتعَيّن النّص على مُستقيمِي الطريق عن الله عز وجل وهم الأئمة.

قُلنا: هذا استنتاجٌ من الآيَـة لـيس يصـحّ ولا يسـتقيم، أتـراني عنـدما أقـول: «اللهـم احشرنُي في زُمرة المؤمنين»، هل تُراني بهذا الدّعاء أقصدُ مؤمنين بأعيُنِهم منصوصـاً علـيهم بأسمائِهم، لأنّ صفة الإيمان المُطلَـق لا تقَـعُ إلاّ عـلى منصـوصٍ علـيهِم ؟!!، أم أنّي أقصـدُ عُموم المؤمنين من مُختلف الأطياف والأجناس الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ؟! هَـل جميعُ منَ ذكرَهُم الله تعالى في هذه الآيَة (الآتيـة) وأنعـمَ علـيهِم (مُطلقـاً)، هُـم مَنصـوصٌ عليهم، مُعيّنون، مُحدّدون، ولا سيّما الشّهداءَ منهُم والصّالحون، قـال تعـالى: ﴿**وَمَـن يُطِـعِ اللَّـهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَـعَ الَّـذِينَ أَنْعَـمَ اللهُ عَلَـيْهِم مِّـنَ النَّبِيِّـينَ وَالصِّـدِّيقِينَ وَالشُّـهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾ [النساء:٦٩]، إن قلتُم: نعم، كلّ هؤلاء مَنصوصٌ علـيهم، معلومون بالاسم والعدد، قُلنا: فُهناك مَن هُو منصوصٌ عليه غير أئمتكم (من الصّالحين، والشّهداء)، ولذا أنعمَ الله عليهم مُطلقاً، فقد يكونوا أحقّ بالاتّباع من أئمتكم، لأنّهم لابدّ وأن يكونوا معصومين، بما أنّ الله أنعمَ عليهم مُطلقاً (وهُـم منصـوصٌ علـيهِم)، وأمّـا إن قلتُم: ليس الشّهداء والصّالحون بمنصوصٍ عليهم في الآيَة، وإنّما المنصـوص علـيهم هـم الأنبياء والصّديقون، دون الصّالحين والشّهداء ؟!، فعنـدها سـنقول: جـوابكم لـيس منّـا تأخذونَه، بل مِن أهل الإنصاف ممّن يقرأون كلامنـا، إذ كيـف خصّصـتم الإنعـام المُطلـق

الذي لا يكـون (عـلى حـدّ قـولكم في أصـل الاعـتراض) إلاّ لمنصـوصٍ عليـه، للشـهداء والصّديقين، بينما أخرجتُم الشهداء، والصّالحين، مع أنّ الخطاب القرآني يقضي بـدخولهم جميعاً (الأنبياء، والصّديقين، والشّهداء، والصّالحين) ضمن من أنعمَ الله عليهِم ؟!! . **نعـم !** فإن أنتَ وقفتَ أخي الباحث عن الحق، عن موضع الخلل هُنا، فاعلم أنّ موضـع الحـقّ فيه، هُو أنّ سورة الفاتحة بعموم عبارةٌ عن تحميدٌ وتَمجيدٌ وتوكّلٌ ودُعَـاء، والـدّعاء منهـا، قولُ الله تعالى: ﴿ **اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمـتَ عَلَـيهِمْ غَـيرِ المَغضُـوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ** ﴾، فقوله: ﴿ **اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ** ﴾، دُعاء بالهداية إلى المـنهج الحـقّ القويم الذي لا عِوجَ فيه ولا ارتيـاب، فـما هُـو المَـنهجَ والطّريـق الـذي لا عِـوجَ فيـه ولا ارتياب، هُو: ﴿ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ** ﴾، هُو طريقُ الـذين أنعـمَ الله علـيهِم بنعمَـة الاهتداء الخالص الصّادق، ممّن عَلِـمَ الله نجـاتَهُم مـن الأمـم السّـابقة، لحُسـن طـريقَتِهِم وعقيدتهِم، فالله لا شكّ قد أنعمَ على شُهداء بدر، والله لا شكّ قد أنعمَ على أبَوَي عمّار بـن ياسر، والله لا شكّ قد أنعمَ على حمزة بن عبد المطلب، وجعفر بن أبي طالب، والله لا شـكّ قد أنعمَ على سلمان الفارسي، وأبي ذرّ الغفاري، وحجر بن عـدي، والله لا شـكّ قـد أنعـم على علي بن أبي طالب، والحسن، والحسين، وزين العابدين، والحسن بن الحسن، وزيد بن علي، والبـاقر، وعبـد الله المحـض، ومحمـد الـنفس الزكيـة، والصـادق، والشّـهداء حقّـاً الخارجين مع الأئمة من بني الحسن والحسين من الشيعَة الكِرام ، فالله بلا شـكّ قـد أنعـمَ على هؤلاء بالطريق المستقيم، والمنهج الحسَن، فنحنُ عندما ندعو الله تعالى في آيـة الفاتحـة، نَطلُبُ منه جلّ شأنه أن يَهدينا صراطهُ الذي يرتضيه، صراطَ مَن قد أنعمَ الله عليهم بحُسن الاهتداء، صراطَ مَـن قـد عَلِـمَ الله نجاتـه ممّـن سـبقنا مـن الآبـاء والأسـلاف، مـن أمّـة محمد ﷺ، ومِن غير أمّة محمد ﷺ، إذ الله قـد أنعـم عـلى جميـع الأنبيـاء والمُرسـلين بحسن المنهج والسبيل، وكذلك الحال مع مؤمن آل فرعون، وغُلام أصـحاب الأخـدود، وأمثالُهم، ممّن نسألُ الله تعالى أن يهدينا، كما هداهُم، وأن يجمعنا وإياهم في جنـات النعـيم، والحمد لله تعالى .

[مُناقشَة قول الله تعالى : ((وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا))] :

إن قيل: ودليلٌ آخَر على النص من الله سبحانه وتعالى، على أئمّة بعينهِم، هـو قـول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[السجدة:٢٤]، فأطلق اليقين في آياته عند من جعلهم أئمة هادين بأمره، ولا أحد من غير المنصوص عليه باليقين في آيات الله مطلقا يقطع بتمام يقينه، فتعين النص على تامّي اليقين في آيات الله، فتعين النص على الأئمة.

قُلنا: الخلل دائماً يأتي من تدبّر سياق الآيات، وعدم ربط الآيات بعضها ببعض، فكتاب الله تعالى يُفسّرُ بعضُه بعضاً، فسياق الآية السّابقة، هو قول الله تعالى، مُتكلّما عن اليهود: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ * وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [السجدة:٢٣-٢٥] ، فالله سُبحانه وتعالى تكلّم في هذه الآيات عن الماضي لا المُستقبَل، تكلّم عن فعلِه مع أمّة موسى (معشر اليهود)، ولم يتكلّم عن أمّة محمد ﷺ، فأخبرَ الله تعالى أنّه جعلَ من بني إسرائيل أئمّة في الدّين، يهدونَ النّاس بأمْرِ الله الذي أمرَ به العباد، وهو العبادة والتوحيد، ولكن مَتى جعلَ الله هؤلاء أئمّةً للنّاس؟!، يقول تعالى: ﴿ لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾، أي لمّا صَبروا في جانب الله، وأمسكوا عن نهيه، وعن الملذّات المُخالفة لأوامر الله، ﴿ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ وكانوا بكُتب الأنبياء، وأوامر الرّسل، ووعد الله ووعيده مُوقنين مؤمنين مُخلِصين، **نعم** ! فلمّا كان الرّجل من بني إسرائيل صابراً مُصابراً في جانب الله تعالى، ومؤمناً موقِناً، استحقّ مرتبَة الجَعل الإلهي، واستحقّ مرتبّة الإمامة في الدّين، لأنّ الله جعلَ الإمامة الحقّ والتفضيل في عموم بني إسرائيل (في جميع ذرية إسرائيل)، حتّى إنّ الله خاطبَ عُتاة بني إسرائيل وهو يلومُهم ويُذكّرهُم بعدم تقديرِهم لنعمتِه التي أنعمَ بها عليهِم، وهي تفضيلُه لهُم على العالَمين، قال الله تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾، فجاء خِطاب التفضيل عاماً لجميع بني

إسرائيل، فمَن كانَ منهُم مُلتزماً الصّلاح استحقّ وعدَ الله بالإمامة (لأنّ بني إسرائيل هُم بقيّة دَعوة إبراهيم الخليل بجعل الإمامة في ذريّته، ثم استثنى الله الظّالمين منهُم، وكذلك الحال مع بني فاطمة، فإنّهم بقيّة دعوة إبراهيم الخليل بجعل الإمامة في ذريّته، مع استثناء الظّالمين منهم، فالأئمّة من بني إسرائيل ممّن تحقّق فيهم شرط الصّلاح، هم أئمّةٌ بجعلِ الله لهم، أي بإرادَة الله الإمامة لهُم، وكذلك القول مع أئمة بني فاطمة، فإنّ الإمام منهم المتحقّق فيه شرط الصلاح، هو إمامٌ بجعلِ الله ، عندما وافقَ إبراهيم الخليل على دَعوتِه لذريّته، هو إمامٌ بإرادَة الله تعالى، وجعلُ الله له وإرادته، إنّما كانتَ لسببين اثنين، الأوّل: لأنّه من ذريّة إبراهيم (ع)، وهُو قد وعدَ إبراهيم بأن تكون الأئمّة من ذريّته . والسّبب الثاني: أنّه قد تحقّق في هذا الإمام الشرطُ الذي اشترطهُ في ذرية إبراهيم ليكونوا أهلاً للإمامة، وهُو الصّلاح دون الظّلم للنفس)، **نعم ! إن قيلَ**: ما دليلُكم وبُرهانُكم على قولِكم القريب، قولِكم بأنّ الأئمّة في آية السجدة (محلّ النّقاش)، إنّما جعلَهُم الله تعالى أئمّةً، بسبب عَمَلِهِم الصّلاح، فهل عسيتُم لو لم يكُن عملُهم صالِحاً أن تبطلوا كونهم أئمّة للنّاس، فالآية تدلّ على أناسٍ منصوصٍ عليهِم ؟! **قُلنا**: نعم ! أنتُم تقولون إنّ الإمامة في بني إسرائيل إنّما هي نصيّة لمعصومين، ونحنُ نقولُ إنّ الإمامة في بني إسرائيل لا تكون إلاّ في مَن أثبتَ لله عملَهُ وصلاحَه وتَقواه وصِدقَ يقينه، فمَن علمَ الله منهُ هذا الحال كانَ إمام النّاس (في زمن عدم وجود الرّسل)، ألا ترى أنّ الله علّق شرط الإمامة بالتقوى والصّبر واليقين، فلو كان الأئمة من بني إسرائيل منصوصاً عليهِم، لكانوا مَعصومين، ولو كانوا معصومين ما احتاجوا إلى شرط التّقوى والصّبر واليقين لحصولهِم على مقامِ الإمامة، لأنّ هذا الشّرطَ سيكونُ فيهم مُتحقّقاً رأساً، لأنّهم منصوصٌ عليهِم، ومعصومون، وعليه لكانت الآية السّابقة كالتالي: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**﴾ بدون زيادة الشّرط المُسبّب للإمامة وهو (**لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**)، ومنه أخي الباحث عن الحقّ، سنُجملُ لك أمرَ هذه الآيَة ولإنصافك الحُكم، الله تعالى وعدَ إبراهيم الإمامة لذريّته

بعموم، ولكنّه جلّ شأنه استثنى الظّالمين، وهذا الاستثناء للظالمين يعني أنّ صلاح ذريّة إبراهيم هو شرطُ الإمامة، فمن صلُح حاله مع ربّه كان من الصّالحين لمقام الإمامة والإفتاء، وعلى النّاس السّمع والطّاعة له، مات إبراهيم الخليل (ع)، فأكّد الله تعالى وعدَه لإبراهيم الخليل في ذريّته، بأنْ فضّل جميع بني إسرائيل ذريّة إبراهيم على العالَمين ﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾، فجعلَ الله الإمامَة صالحةً في جميعِهِم (دَعوةَ أبيهم إبراهيم الخليل)، إلاّ الظّالمين، فمَن آمنَ وعَمِل صالحاً، وصابرَ نفسه في جانب الله تعالى، فهو صالحٌ للإمامة، وهو الذي يرضاه الله تعالى، ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾، وعلى النّاس أن يسمعوا له ويُطيعوا، لأنّ هؤلاء الإسرائيليين الصّالحين المؤمنين يَهدونَ النّاس بأمر الله تعالى، أي يَهدونَ النّاس بأوامرِ الله التي بعثَ بها الأنبياء السّابقين، وأقرّتها الكتب السّماوية السّابقة، لا بأوامرَ ابتدعوها من تلقاء أنفسهِم، ومنه وبعد ظهور خاتم الأنبياء والمُرسلين ﷺ، أتتَ شريعةٌ إلهيّة ناسخَة، وهي المسئولة بأمر الله تعالى عن تقرير الاصطفاء والتفضيل الإلهي السّابق لبني إسرائيل، من عدمه، فلمّا قرأنا القرآن، واستعرضنا صحيح حديث الرّسول ﷺ، وجدناهُما قد أسقَطا تفضيل بني إسرائيل فرع ذريّة إبراهيم، وأقرّا قوماً غيرَهُم سنّة الله التي خلَت مِن قبل، ولكن مَن هُم هؤلاء القوم المحمديّون المُصطَفون ؟! الجواب البديهي أنّهم لابدّ وأن يكونوا من ذريّة إبراهيم الخليل (ع)، لسابق وعد الله تعالى له ببقاء الإمامة في ذريّته، فنظرنا الكتاب وإذا بآية التطهير تُدلّ على بني فاطمة وآبائهم (أصحاب الكساء ومَن تناسل من ذريّتهم)، وإذا بالسنّة تحثّ بالتمسّك بأهل البيت (جميع بني فاطمة، ذرية الحسن والحسين)، ولمّا كاَن القياس من الحُجج الشرعيّة، حكمنَا أنّ ما جَرى مع آلية وطريقة جَعلِ الله للإمام مع بني إسرائيل، ستكونُ كذلكَ مع أبناء الحسن والحسين، فشرطُ الإمام هو الصّبر في جانب الله، والإيمان، واليقين، والصّلاح، خصوصاً وأنّ النصّ جاء فيهم جُملياً، فلا حديث الثقلين

حدّد أشخاصاً، ولا حديث السفينة حدّد أشخاصاً، ولا حديث النجوم حـدّد أشخاصـاً، ولا كتاب الله تعالى يَشهدُ بعقيدة وجود نـصٍّ خـاصٍّ في أحـدٍ مـن هـذه الذريـة الحسـنية والحسينية، وكذلكَ كان الحالُ مع الأئمّة من بني إسرائيل فإنّه لم يُؤثَر من كتـاب الله تعـالى إخبارٌ أنّ الأئمّة منهم كانوا مُختصّين بنسلٍ دونَ نسل، أو طائفةٍ دونَ طائفة، أو أنّها وراثـةٌ من أبٍ إلى ابنه، كما تدّعي الجعفرية والإسماعيلية من الشيعة، فطريقُ معرفة الإمام من بني فاطمة ليسَ النّص الخاصّ، أو الوراثة من الأب لابنه، بل طريقُه ما قالَه أمير المؤمنين (ع): «أيّها النَّاسُ، إنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّـهِ فِيهِ، فَـإِنْ شَـغَبَ شَاغِبٌ اسْتُعْتِبَ، فَإِنْ أَبَى قُوتِلَ. وَلَعَمْـرِي، لَـئِنْ كَانَـتِ الْإِمَامَـةُ لاَ تَنْعَقِـدُ (تأمّـل) حَتَّـى يَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ، فَمَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ، وَلكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَـنْ غَـابَ عَنْهَـا، ثُـمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ، وَلاَ لِلغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ» [نهج البلاغـة خ١٧٣]، وهـذا القـول مـن الإمام علي (ع) مُنتقضٌ على قول الجعفرية أصحاب النّص على الأئمّـة، لأنّ الزيديـة هِـي مَن تقولُ بشرطِ الشّورى في بنـي فاطمـة، ولا يَفتـك أن تتأمّـل كيـف ركّـز الإمـام صـفة الصّلاح في الفاطميين بقوله: «إنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّـهِ فِيهِ»، وإنّما قُلنا إنّ خطاب أمير المؤمنين (ع) خاصٌّ بالفاطميين، لمكان قوله (ع) في موضـع آخر: «إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيشٍ غُرِسُوا فِي هذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ، [يعني بطن بنـي فاطمـة]، لاَ تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَلاَ تَصْلُحُ الْوُلاَةُ مِنْ غَيْرِهِمْ» [نهـج البلاغـة خ١٤٣]، ومِثـل قَـول الإمام علي يقول حفيده زيد بن علي (ع): «الإمَامَةُ والشّورَى لا تَصـلُح إلاّ فينَـا» [مجمـوع رسائل الإمام زيد بن علي (ع)، ص٣٨١]، ومنه وبعد هذا كلّه تبيّنَ لنا ولكَ أخي الباحث أنّ الآيَة الكريمة: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَـانُوا بِآيَاتِنَـا يُوقِنُـونَ**﴾، خاصّةٌ ببني إسرائيل، حكاها الله تعالى لرسوله الكريم بصيغَة المَاضِي، فتوهّم الجعفريّـة أنّ هذا الخطاب (الموجّه للماضي)، خاصّ بأئمتهم الاثني عشر، وأنّ صفة الصـبر واليقـين في الآية إنّما ذُكِرَت في الآية لمكان النّص عـلى الأئمـة، إذ متـى كـانوا منصوصـاً علـيهم فهـم

صابرون موقنون قطعاً، وهذا وهمٌ ظاهرٌ، لأنّه لا دليلَ لهُم من سياق الآيـة في كتـاب الله تعالى على أنّ الأئمّة المقصودين في الآيَة هُم الأئمة من أمّـة محمـد ﷺ، إذ سـياقُ الآيَـة يُخبرُ عن إخبارٍ إلهي لمحمد ﷺ عن أمرٍ ماضٍ حصلَ مع بني إسرائيل، فـما هُـو الـدّليل معشر الجعفرية على أنّ الأئمة في الآيَة هم أئمتكم ؟! إن قلتُم: نقولُ كقـولِكم إنّ القيـاس هُو الدّليل . فعندها سنقول: إنّ القياس ليس حجّةً عندَكم ؟! فأخبرونا ما هو دليلُكم ؟!، **فإن قلتُم**: لا دليل، والحقّ معكم فسياق الآية يُخاطبُ بني إسرائيل، بخطابٍ جـاء بصـيغة الماضي، ولكن أخبرونا أنتُم معشر الزيدية ما دليلُكم على أنّ هـذه الآيَـة تنطبـقُ عـلى بنـي فاطمة ؟!، **قُلنا**: قياس حال أمّة محمد ﷺ، على حال أمّة موسَى (ع) ، فالأمّـة بحاجـةٍ إلى أئمةِ حقٍّ يُحيونَ أمر تعالى وأمرَ الرّسل، وسنّة الله تعالى هي وجود مَـن يصـلُح للهدايـة وتعليم النّاس على مرّ الأزمان، فإن كان هذا كذا، فأمّـة محمـد يسرـي عليهـا هـذا الحُكـم الإلهي، بل هُو أشدّ وألزَمُ في حقّهم، لأنّه لا نبوّة بعد نبيّهم ﷺ، نعم ! ثمّ نظرنا لسياق الآية مرّةً أخرى فوجـدناهُ يُخـبرُ أنّ جعـلَ الله تعـالى للأئمّـة إنّـما كـان لصَـبرهم ويقيـنهم وصلاحهِم، فقسنا هذا الحال مع ولد فاطمة (ذرية الحسـن والحسـين)، وقُلنـا إنّ الأئمّـة منهم المرضيّين هُم من تحقّقت فيهم الشروط التي رضيها الله لأئمّـة بنـي إسرائيـل، نعنـي الصّبر والصلاح واليقين، وهذا أخي في الله دليلٌ بيّنٌ لمن تـدبّر وتفكّـر، ونزيـدُ النصـيحة للإخوة الجعفرية، بذكر تفسير السيد الطباطبائي لهذه الآية، ومن تأمّل تفسيرَه، وجدَهُ عينَ قولِنا، فقال السيد محمد حسين الطباطبائي: «قوله تعـالى: ﴿ **وَجَعَلْنَـا مِـنْهُمْ أَئِمَّـةً يَهْـدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾ أي وجَعلنَا [تأمّل] مِن بني إسرائيل أئمّـة يَهـدون الناس بأمرنا، [تأمّل سبب الحصول على الإمامة تجده تحقق الشرط بالصـلاح، لا الـنّص، نعم ! قال الطباطبائي:] وإنّما نصبناهم أئمةً هُداة للناس حِينَ صَبروا فِي الدّين وكانوا قبل ذلك مُوقِنين بآياتنا» [تفسير الميزان:١٦/ ٢٦٦]، وجاء في المناقب لشـهر بـن آشـوب مـا يشهدُ لعقيدة الزيدية أنّ الأئمّة الهُداة هُم من عموم ذريّة فاطمة وعلي صلوات الله علـيهما،

وذلك أنّ رسول الله ﷺ دعا لعلي وفاطمة حين عُرسهما، فقال: «اللهم اجمع شملهما وألف بين قلوبهما واجعلهُما وذريتهما من ورثة جنة النعيم وارزقهما ذرية طاهرة طيبة مباركة واجعل في ذريتهما البركة واجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك ويأمرون بما يرضيك،» [مناقب آل أبي طالب:٣/ ١٣٢، وانظر تفسير نور الثقلين للشيخ الحويزي:٤/ ٢٣٣]، **نعم** ! وجاء في تفسير فرات الكوفي الزيدي [وهو تفسير مشهورٌ عند الجعفرية أكثر من الزيدية]، جاء فيه: «عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر، في قوله تعالى: «وجَعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا»، قال: «نَزلَت فِي وَلدِ فَاطمَة» [تفسير فرات الكوفي:٢٣٣]، وقال السيد حُميدان بن يحيى القاسمي (ع): «وقد مدح الله سبحانه وتعالى الصابرين وجعل من عظم ثواب بعضهم استحقاق الإمامة فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا**﴾ [التصريح بالمذهب الصحيح، من مجموع الإمام حميدان القاسمي (ع)]، وقال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة (ع): «فصحح الإمامة لمن كان غير ظالم من ذريته، ...، وقال تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا**﴾ [العقد الثمين في تبين أحكام الأئمة الهادين]، وقال الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي (ع): «فمن لم يفعل من الإيمان ما فعلوا، ويعمل من الصالحات كما عملوا، فلم يجعل الله له إيمانا ولا إسلاما، فكيف يجعله الله في الهدى إماما ؟! وإنما جعل الله الإمام مَنْ هدى بأمره، وعُرِفَ بالجهاد في الله مكان صبره، كما قال الله لرسوله، صلى الله عليه وعلى آله: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ * وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾ [مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم الرسي، كتاب الرد على الرافضة في الوصي والحجّة]، وقال الإمام القاسم الرسي (ع): «ثم أخبر تعالى عما جعل من الإمامة في بني إسرآئيل، قبل أن ينقل ما نقل منها إلى ولد إسماعيل، فقال:﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ * وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا**

يُوقِنُونَ﴾ [مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم الرسي، كتاب تثبيت الإمامة]، نعم ! وبهذه النصوص التي أطلقناها للباحث المتيقّظ دون غيره، لربط أوّل الكلام بآخره، وآخره بأوّله، إذ إنّ رسالتنَا هذه وما قبلَها من أوّلها إلى آخرها إذا لم تُربَط ببعضها البعض فإنّا نشكّ في الفهم الصحيح السليم لها، والحمد لله تعالى .

[مُناقشَة قول الله تعالى : ((فَإِنَّ اللهَّ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ))]:

إن قيل: ودليلٌ آخَر على النص من الله سبحانه وتعالى، على أئمّة بعينهم، هو قول الله تعالى: ﴿ **إِن تَتُوبَا إِلَى اللهَّ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَّ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ** ﴾ [التحريم:٠٤]، وموالاة الله وجبريل والملائكة لرسول الله ﷺ مطلقة غير مقيدة ! والصلاح في المؤمنين ها هنا مطلق، ولا أحد من غير المنصوص عليه بالصلاح المطلق يقطع بصلاحه مطلقا، فتعين النص على الصالح مطلقا، وهو الإمام. هذا وجه في الاستدلال. ووجهٌ آخر، أن الله أطلق الموالاة ولم يستثنِ منها موردا! فدل على أن صالح المؤمنين موالٍ مطلق لرسول الله ﷺ، ولا يقطع بموالاة أحد لرسول الله ﷺ مطلقا إلا بنص، فتعين النص على صالح المؤمنين وهو الإمام.

قُلنا: لسنَا نعلمُ ما وجهُ الاحتجاج الذي أوردتموه إخوةَ البحث من هذه الآية، إذ إنّه لا يَدخُل تحت مضمون هذه الآية إجماعاً (من الإمامية، والزيدية، وما تحكيه بعض روايات الفرقَة السنيّة)، إلاّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، فقول الله تعالى: ﴿ **إِن تَتُوبَا إِلَى اللهَّ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا** ﴾ والخِطاب موجّه لعائشة وحفصة، وقوله تعالى: ﴿ **وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ** ﴾ والضمير يعود إلى الرسول ﷺ، ﴿ **فَإِنَّ اللهَّ هُوَ مَوْلَاهُ**﴾، وهذه ولاية مُطلقَة، ﴿ **وَجِبْرِيلُ**﴾ وهذه ولاية من جبريل للرسول ﷺ مُطلقَة، ﴿ **وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾، هذا خطابٌ للمفرَد، وصالحُ المؤمنين هُو علي بن أبي طالب (ع)، وعلى ذلك جاءت روايات الزيدية والجعفرية والفرقَة السنيّة، من أنّ المقصود بصالح المؤمنين هو أمير

المؤمنين (ع)، جاء في تفسير السيد محمد حسين الطباطبائي الجعفري: «والمُرادُ بِصَالح المؤمنين على ما قيل: الصّلحَاءُ مِنَ المؤمنين، [تأمّل] فَصَالح المؤمنين وَاحِدٌ أريدَ به الجَمع كَقولك: لا يَفعَل هذا الصّالح مِن الناس، تريد به الجنس، كقولِكَ: لا يَفعَله مَن صَلح مِنه[م]، ومِثله قولك: كنت في السّامر والحَاضِر. وفيه قياس المضاف إلى الجمع إلى مدخول اللام فظاهرُ صَالح المؤمنين غير ظاهر " الصّالحِ مِن المُؤمنين ". ووردت الرّواية من طرق أهل السنة عن النبي ﷺ ومن طرق الشيعة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أنّ المرادَ بصَالح المؤمنين علي عليه أفضل السلام» [تفسير الميزان:١٩/ ٣٣٢]، ومنهُ فإنّ الآيَة تدلُ على ولايَة أمير المؤمنين (ع) للرسول ﷺ الولاية المُطلقَة، وإنّما قُلنا المُطلقَة، لأنّها رافقَت ولايَة الله وجبريل والملائكة في السّياق، ثمّ لم نجِد أيّ استثناء قد يهزّ هذا الإطلاق في الولاية، فحَكمنا من هذه الآيَة بِعصمَة أمير المؤمنين، وأنّه لن يَعدِل عن ولايَة محمّد ﷺ، التي هي الاستقامة على منهجه حقّ الاستقامة، **نعم** ! وأمّا أنّ الجعفرية قد يتسلّقونَ هذه الآيَة لإدخال غير علي (ع) تحت «صالح المؤمنين»، فهذا تعسّف، ليسَ يستقيمُ لهم به دليل، وليعلَموا أن لا دليل على دُخول الحسن والحسين وهُما سيّدا شباب أهل الجنة، ومن المعصومين تحت «صالح المؤمنين»، لأنّه لا مُخصّص لهم بذلك، وإنّما التخصيص لأمير المؤمنين (ع)، وليسَ غيره من الإدخالات للرجال (كالحسن، والحسين، وبقية أئمة الجعفرية)، ليسَ منهُم إلاّ من باب قياس مُطلَق الولاية وانطباق حالِهم مع حالِ أمير المؤمنين من ناحية الولاية المُطلقَة لرسول الله ﷺ، وهذا منهم لا يُحتجّ بهم علينا لأنّه مجرّد ظنّ واستحسانٍ وقياسٍ، وليتَ أنّ القياس يُخصّص عدداً أو جِنساً أو لوناً، بل إنّه قد يُدخِلُ تحتهُ عمّار بن ياسِر (الذي شَهِدَ له رسول الله ﷺ بالجنة إلى آخر رمقات حياته، ومَن شهد له الرسول بالجنّة حاضراً ومُستقبلاً وثبتَ على ذلكَ، كانَت ولايَتهُ قطعاً للرسول واردَة)، وقد يُدخِلُ تحتَه (أبا ذرّ الغِفَاري رضوان الله عليه)، وقد يُدخلُ تحتَهُ (سلمان الفارسي)، نعم ! ثم إنّ هذا الاستحسان والقياس الذي أدخلنَا به هؤلاء الرّجال من الصّحابَة، ومن أئمة الجعفرية، تحت «صالح المؤمنين»، لا يدلّ دلالة قاطعَة على عِصمتهم، كما دلّ دلالةً قاطعةً على عصمة أمير

المؤمنين (ع)، وذلك أنّ الخطاب في أمير المؤمنين منفرداً هو من الله تعالى، وعلى لسان رسوله ﷺ، وأمّا البقيّة من أئمة الجعفرية، والصّحابة، فلم يكنُ دُخولهم تحت مُطلق الولاية، تحت «صالِح المؤمنين» إلاّ استحساناً وقياساً لحالِهم وموقفهم من الولاية المحمديّة، فهذا وجه قولِنا أنّه لا يُمكن للجعفري أن يحتجّ علينا بالنّص على أئمته الاثني عشر من هذه الآيَة، أو حتّى بالعصمة، أمّا إن احتجّ علينا بالنصّ على أمير المؤمنين (ع) وحدَهُ، وعلى عصمته، فإنّا نقولُ لهم إنّا مُسلّمون لهذا، وما زِلنا نحتجّ بهذه الآيَة في الاستدلال على عِصمته (ع)، ولكنّا لا نستدلّ على عِصمة الحسن والحسين (مع أنّهم معصومون عندنا)، بهذه الآيَة، لأنّ الخصمَ لن يُسلّم لنا، كَما أنّ عُقولَنا لن تُسلِّم لنا أيضاً، لا سيّما وأنّ الآيَة خاصّة لا عامّة، إذا لو كانَت عامّة لكان لأهل الشبهات مرتَع، ومثالٌ على قولِنا القريب: أن يأتي شخصٌ ويُدخِلُ تحت قول الله تعالى: ﴿ **وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ** ﴾ [الحاقة:١٢]، يُدخلُ تحت هذه الآيَة: حُذيفَة بن اليمان الصحابي ويقول إنّه من المقصودين بها، وهذا باطلٌ لما للآيَة من خصوصيّة بأمير المؤمنين علي (ع)، ومثالُنا هذا ينطبقُ على قولِنا السّابق، فـ «صالح المؤمنين» هو علي (ع) دونَ غيره، ومَن أرادَ أن يُدخِلَ غيرَهُ معه استحساناً وقياساً بقرينة الولاية للرسول ﷺ، فإنّه لن تنطبقَ عليهم مُطلق الولاية للرسول ﷺ التي انطبقَت على أمير المؤمنين (ع)، والتي يُستنتج منها النصّ والعصمة، على أنّ حالها في إثبات العِصمَة أظهَر، والأمران (إثبات النّص وإثبات العصمة) مُتلازمَان، والحمد لله ربّ العالمين .

[مُناقشَة دليل العَقل : ((أنّ الأمّة بحاجَة إلى إمَام وقائِد))]:

إن قيل: **ودليلُ العقل** على وجوب النّص على الأئمّة، إجماعُ العُقلاء على أنّ بَقاء الشّعوب بغير قِيادَة يتمخّض عنه الفَوضى والفسَاد على جَميع الأصعِدة!، فَوجَب عَقلا نَصبُ قَائد تأمَن به البلادُ مِن الفَساد !، ولو خُيِّر العَاقل بين قائد لا يُصلح شيئا، وقائد يُصلح في بعض الأمر دون بعضه الآخر وقائد يُصلح في كل أمر لاختارَ مَن يُصلح كل أمر !، فلِعلم الله عز وجل بمَا أجمعَ عليه العُقلاء، ولعلمِه بِعَجزِهم عن مَعرِفَة مَن يَصلح فِي كل أمر!، ولعلمِه أنّ فِي وجود هذا القَائد الذي يصلح في كل أمر، حثّ على الطاعة وزجَر

عن المعصية. اقتضى لُطفُه بِعبَادِه إزالة عَناء البَحث عن مُصلِحٍ فِي كلّ أمر عـبر الأجيـال!، بِبيانِه لهُم وَنصبِه قَائدا لهم. وهُو عَينُ مَا تقولُه الإمامية، إذ إنّ الإمَامَةَ لُطفٌ عِنـدَهم وكـل لطف واجبٌ عَقلا مِن قِبَل الله عز وجل، فيجب عَقلا نصب وتعيين الأئمـة مـن قِبَـل الله عز وجل.

قلنا: اعتراضكم هذا علينا، يجرّ وراءه سَيلاً من التناقضات التي وقعَت فيها الجعفرية، إذ هي تحتجُ علينا بما هُو حجّةٌ عليها، وليسَ بحجّةٍ علينا، وذلـك أنّكـم أوجبـتُم الإمامـة النصيّة، لمّا استلزمَ عقلاً أنّ الأمّة بحاجةٍ إلى قائدٍ يقودُهـا إلى الطريـق المسـتقيم، وقلـتُم إنّ الإمام لُطفٌ مِن الله تعالى يحتاجهُ العباد، وأثبتُم أنّ بقاء الشعوب بـدون قيـادَة سـيتمخّض عنه الفسادُ على جميع الأصعِدَة، ومن هذا كلّه، هَل عَلِمتُم أنّ نظـريّتكُم في الإمامـة سـابقاً (في عهـد الأئمـة قبـل المهـدي، أي قبـل الغيبـة)، ولاحقـاً (في زمـن غيبـة ابـن الحسـن العسكري)، هل عَلمتُم أنّ نظريّتكم في الإمامة سابقاً ولاحقاً حقّقَت هذا اللطـف الإلهـي الواجب عقلاً مِن قِبلَ الله تعالى، واللطف بلا شكّ نتاجُه الهدايَة، والهِدايَة طريقُها الدّعوة، وطريقُ الدّعوة ركائزُهُ قائمةٌ على الجهر بها، فَهـل علمـتُم معشرـ الجعفريـة (مُنصِـفين) أنّ الإمام الصّادق (على مذهبكم) قد أبلغَ الجَهد في إيصال لُطف الله الذي استُودِعَ فيه إلى مَن يطلُبُه مِـن العِبـاد ؟!، خصوصـاً والجعفريـة يـروون عـن الصـادق (ع)، مـا راوه ثقـتهم الكليني: «عن ثابت بن سعيد قال: قال أبو عبد الله: يَا ثَابت !! مَـالَكُم وللنـاس، [تأمّـل] كُفوا عن الناس ولا تَدعوا أحَدا إلى أمْرِكم، فَو الله لو أنّ أهل السّماوات وأهـل الأرضـين اجتمَعُوا على أن يَهدوا عبداً يُريدُ الله ضَلالته مَـا اسـتطاعُوا عـلى أن يَهـدوه، ولـو أنّ أهـل السّماوات وأهل الأرضين اجتمعوا على أن يُضلوا عبداً يُريد الله هِدايتـه مَـا اسـتطاعُوا أن يُضلوه، كفّوا عن النّاس ولا يقولُ أحَدٌ: عمّي، وأخِي، وابنُ عمّي، وجَـاري، فَـإنَّ الله إذا أرادَ بِعبدٍ خَيرا طَيّبَ رُوحَهُ فَلا يَسمَعُ مَعروفاً إلا عَرَفَه، ولا مُنكراً إلا أنكَـرَه، ثـمّ يَقـذِف الله فِي قلبه كَلمَةً يجمَعُ بِها أمـرَه» [أصـول الكـافي:١/ ١٦٥]، فـأين اللطـف الـذي أصـلُهُ

الهدايَة للناس، وأنتم تَصِفون (الصادق أعزّه الله) بِترك مِنهاج الدّعوة حتّى مع الأقربين من النّاس، والله سُبحانه وتعالى يقول لرسوله ﷺ: «وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»، ثمّ هل إنكار وصدّ كفّار قريش كان عائقاً عن قيام الدّعوة المحمديّة ؟! أليسَ الله يَعلمُ أنّ أبا لهبٍ لن يُؤمن، فلماذا دَعاه الرّسول ﷺ معَ مَن دعا من عشيرته للإنذار والإبلاغ ؟!، هل أنذرَ الإمام اللطف جعفر الصادق (ع) عشيرتهُ الأقربين (أبناء الحسن والحسين) ليتمّ مَا أجمعَت عليه العُقلاء (كما ذكرتُم) من حاجَة النّاس لقوّادٍ يهدونَهم ويُعلّمونهم منهج الحق من منهج الباطل، هَل أخبرَ الصّادق ابنه (الذي من صُلبِه)، نعني محمد بن جعفر بأنّ الإمام بعده هُو أخوه موسى الكاظم، فإن كانَ، نعم ! قد أخبرهُ أبوه بذلك، وإنّما محمّد على رفعة منزلته وجلالة قدره ادّعى الإمامة الزيدية جحوداً بمنزلة أخيه موسى، واستنكاراً وكُفراً بالإمامة الجعفرية الربّانيّة، فعند ذلك سنقول سلّمنا لكم بهذا القول الفظيع، ولكن أخبرونا لماذا لم يُخبر الصّادق ربيبه وابن عمّه الحسين (ذا الدمعة) ابن زيد بن علي، والحسين هذا فهو الذي تربّى في حجر الصادق منذ كان له من العمر أربع سنوات بعد مقتل أبيه زيد بن علي (ع)، نعم ! لماذا لم يُخبر الصّادق الحسين بن زيد بإمامة نفسه الإمامة الربّانية، لماذا لم يُتمّ الهداية الإلهية التي أوجبَها الله عليه كإمام زمان، وقائدٍ للعالَم، **إن قلتُم**: بلى قد أخبرهُ بذلك . **قُلنا**: فما بالُ الحسين بن زيد كان جناح جيش الإمام النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن، وأحد المُبايعين له ، ومحمد بن عبد الله هذا هو الغاصبُ الإمامة من ابن عمّه جعفر الصادق، وهو المقدوح فيه على لسان السيد الخوئي، وعلى لسان الباقر بل إنّه سمّاه الأحول المشئوم برواياتكُم ، والله المُستعان، ومنهُ، فإنّ إخبار الصّادق لربيبه الحسين بن زيد غير وارد البتّة، إلاّ أن يُقال إنّ حال الحسين بن زيد في الجحود، والكفر بالإمامة كحالِ محمد بن جعفر الصادق، كحال النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن، كحال النفس الرضيّة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن صاحب وقعة باخمرى، كحال الحسين الفخي ، الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن المثنى، فإن قلتُم

بهذا، وأنا أُعيذُكم (ممّا هُو للأسف ثابتٌ عندكم وعليكُم)، فما دَورُ أئمتكم السّابقين لعصر الغيبة في الهدايَة وقيادَة الزمام للأمّة، ما هو دورُ اللطف الإلهي الواجبُ عقلاً ؟!، حقّا لم يكن علي والحسن والحسين بهذه السّلبية في القيام بأمور الدّعوة، بل إنّهم كانوا يجتهدون في إيصال الحقّ إلى طالبيه، رغم تعرّضهم للظروف العصيبَة، فهل اكتفى الحسين السبط (ع) بمنهج الصادق في الدّعوة لَمّا جازفَ بنفسه وأهله في معركةٍ غير مُتكافئة من أجل إعلاء كلمة الله تعالى، (ولستُ بهذا الكلام أعيبُ الصّادق إلاّ من وجهة نظر الجعفرية، لا من وجهة نظر الزيدية، لأنّ الزيدية تنظُر إليه على أنّه المُجتهدُ في الدّعوة والمُناصرَة بالبيعة والدّعاء لإخوته وبني عمومته من سادات بني الحسن والحسين)، نعم ! فهذا إخوة البحث والتنقيب والتفتيش شيءٌ مما قد يُنتقدُ على قوّاد العَالَم وأئمّتهم، المعاصرين لما قبل عصر الغيبة، أي المعاصرين للناس والمعايشين لهم، فكيفَ بإمام الزّمان الغائب الذي لم يُعايشهُ النّاس، ولم يُعايشهُم، ولم يقُم بلُطف الله الواجب عقلاً كما يقول المُعترِض والذي لأجله نصّ ونصَّب!! الأئمة، فهل هذا الكلام منكم أخي الجعفري إلاّ حِبرٌ على ورق، لا أصلَ له على أرض الواقع، نظريّة بلا تَطبيق ، نعم ! الحقيقة أنّا نُقرّ لكم أنّ كلامَكَم في الإمامة أنموذجي، من أنّ الأفضَل ألاّ يُغادرَ الرسول ﷺ إلاّ وقد نصّبَ أئمةً بأسماءهم وأعيانهم إلى يوم القيامَة، واحداً بعد واحِد، لكي لا تختلف الأمّة، أو قولوا لكي لا يتسّع اختلافها، فهذا كلامٌ رائقٌ ليسَ أي مُكلّف من أمّة محمّد يكرهُ تحقّقه على أرض الواقع، ولكنّه لا دليلَ عليه لا من كتابٍ، ولا من سنّة صحيحةٍ، ولا عن طريق العقل السّليم الاستنباطيّ المُقيَّد بأحكام الكتاب والسنّة، فالجعفريّة قالَت بأصل النظريّة السّابقة من اقتضاء اللطف في تعيين الأئمة بالأسماء لكي يكونوا الرّكن المُصلِح والقائد للبشريّة، ثمّ لم نَجِد من أئمّتهم إبراز آثار هذا اللطف، بَل وزادوا الغلو عندما حددوا عدد الأئمة، والزمان غير محدّد بزمَن معلومٍ للنّاس، كما غَلَوا وأفرطوا عندما قَالوا بوجوب لُطف ينتفعُ به العباد وهُو غير موجودٍ ظاهرٍ للعباد، على مرّ مئات السنين، وزيادةً على هذا

كلّه فإنّهم تكلّفوا تفسير القرآن ليُوافقَ ما ذهبوا إليه، واعتمَدوا نصوصاً عددية اسميّة عن رسول الله ﷺ لم يروها غيرُهم على سبيل القوّة، نعم ! كلامُ الجعفرية هذا في الإمامة كلامٌ يتمنّاه المُكلّفون ولكنّه منعَ الابتلاء الإلهي منه، ألا ترى أخي في الله أنّ الشّيء الذي يتمنّاه المُكلّفون ، أن يكونَ الله قد قضى الله عَلى إبليس حينَ عصاه، ولم يُخلِّ بينَه وبيننَا ، ولكنّ سنّة الله في الابتلاء الإلهي جعلتهُ يُمهلهُ إلى يوم الدّين، مع سابق علمه بأنّه سينشرُ الفساد في البر والبحر، والسهل والجبل !!، لكي يَبلُوا النّاس مَن يُطيعُه ممّن يُطيعُ إبليس، فالذي نتمنّاه شيء أخي في الله والواقعُ شيءٌ آخر، والابتلاء سرٌّ من الأسرار التي تَمنعُ حصول الأشياء التي نُريدُها ، ألم تر الله تعالى يقول: ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**﴾، وقال تعالى: ﴿ **وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾، وقول الله تعالى: ﴿ **أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا *إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا**﴾، نعم ! فالابتلاء لأمّة محمد ﷺ، في بني فاطمة، هُو ابتلاءان اثنان، الأوّل: ابتلاءٌ من الله تعالى لجميع أمّة محمد ﷺ، ليرَى هل سيجتهدون في طلب وجه الحقّ عند بني فاطمة، هل يجتهدون في البحث عن ما رَسمَه الله والرسول لهم بخطوطٍ عريضة منهجيّة (في حديث الثقلين والسفينة وأمثالها)، وهي التمسّك بجماعة ولد الحسن والحسين، هل يَجتهدون في البحث عن عُلمائهم حقّا حقّا الذين مازالوا مُحافظين على مذهب السّلف الفاطمي صاحب الإجماع المعصوم عن مفارقَة القرآن والحقّ، هل يجتهدون في الوقوف على دَعوات آل محمّد (السّابقين بالخيرات) في الشرق والغرب وينضوون تحتَها، ويكونون لها أعواناً وأنصاراً، هل يجتهدون في الوقوف على عُلماء آل رسول الله ﷺ (من

المقتصدين) ليتعلّموا من علمهم، وينتهلوا من مَنهَلِهِم، أرادَ الله تعالى أن يَبتلي هـذه الأمّـة بهذا العموم من الأسرة الفاطميّة، أرادَ الله أن يبتلي الأمّة هـل يتـدبّرون القـرآن، وحـديث الرّسول، وهل سيَمنَعُهُم كِبرُهُم مـن التسـليم لمحمـد وأهـل بيتـه سـادات بنـي الحسـن والحسين، أم أنّ الإنصاف سيغلبُ، والاتّباع للمتبوعين سيتحقّق، فيكون هـذا هُـو الفـوز العظيم، **نعم !** هذا الابتلاء إخوتَنا الجعفرية هُو الابتلاء الذي منعَ من النّظرة الأنموذجيّـة (نعني تسلسل النّص على الأئمّة بدون انقطاع إلى يوم الدّين، وبدون أعداد)، **نعـم !** وأمّـا الابتلاء الثّاني، فهو خاصٌّ ببني فاطمة: فهو ابتلاءٌ ابتلى الله به جماعَة بني الحسن والحسـين، حين اصطفاهُم وفضلّهم على غيرهم من العرب والعجم، وجعلَ الإمامة والحقّ لا يَخـرُج منهُم، ابـتلاءٌ يُريـدُ الله مـن خلالـه أن يُمحّـص المُجتهـدين في جانـب إرضـاء الله تعـالى، وإيصال الحجّة إلى العباد، بالدّعوة إلى سبيل الله تعالى بمُختلف المراتب، السيف، والعِلـم، والموعظَة، ابتلاءٌ من الله تعالى ليعلمَ من خلاله من سيجتهدُ في حمل الأمانة ومن سـيُفرِّط، ومنه لو تأمّلنا جهودَ أهل البيت (ع) في إقامّة الحجّـة، ونشرـ الـدّعوة لوجَـدنا فعـلاً أنّهـم كانوا يُحسّون بِعِظَمِ هذا الابتلاء المُلقَى على عواتقِهم، فنجدُ عُلماء بني الحسن والحسـين لا يَهنأ لهُم بالٌ، ولا يستريحُ لهُم قرار، ودَعوة الله والرّسول ﷺ غير قائمة، الظّلم مُنتشرـ، والعقائد في فسادٍ مُستمرّ، خرجَ الإمام علي بن أبي طالب (ع) على معاويـة بـن أبي سـفيان عندما وجدَ منه ظُلماً وسيرةً مُهدّدة للدين الإلهي المحمدّي، خرجَ (ع) وهو يقـول: «وَلَقَـدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا الْأَمْرِ وَعَيْنَهُ وَقَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ فَلَمْ أَرَ لِي فِيهِ إِلَّا الْقِتَالَ أَوِ الْكُفْرَ بِمَا جَاءَ مُحَمَّدٌ ﷺ» [نهج البلاغة خ٤٣]، والإمام الحسن بـن عـلي (ع) هُـو القائـل مُختطبـاً في الناس (بخطبة مشهورة عند الجعفرية) بين يـدي والـده (ع): «أيّهـا النـاس أجيبـوا دَعـوة أميركُم فانفروا إلى إخوانكم والله لئن يَلِي هَـذا الأمـر أولـو النُّهَـي فإنـه مثـل في العَاجـل والآجل، وخَيرٌ لكم في العَاقبَة، [تأمّل] فَأجيبوا دَعَوتنَا على ما ابتُلِينا به وابتُلِيتُم»، وكذلك قال الحسن بن الحسن (ع) عندما وُجّهَت إليـه دَعـوات ابـن الأشـعث للبيعـة والخـروج

وإقامَة الحجّة، قال (ع): «مَالِي رَغْبَةٌ عَن القِيام بِأَمْرِ الله، ولا زُهدٌ في إحيَاء دِين الله، ولَكن لا وَفَاءَ لَكُم، تُبَايُعونَنِي ثُمّ تَخْذُلُونَنِي» [المصابيح لأبي العبّاس الحسني]، فأصرّ عليه القوم، وتَعهّدوا عِندَهُ بالسّمع والطّاعة، وحُسنَ الائتمَام، فلَم يَجِد الحسن (ع) بُدّاً من القيام بفرض الإمامة والأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر، كما لم يَجِد عمّه الحسين السبط (ع) سابقاً بُدّا من الخروج وكُتب أهل الكوفَة تتوافدُ عليه من كلّ حَدبٍ وصَوب، نعم ! وكذلك الحال مع الإمام زيد بن علي (ع)، فإنّه كان يحترق وهو يُحسّ بالأمانة المُلقاة عليه كفردٍ من عائلةٍ فاطميّة جعلَ الله على مسؤوليتها الاجتهادُ في الدّعوة إلى كتاب الله تعالى، وإلى سنّة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، يحترقُ (ع) والظّلم مُنتشرٌ، والعدلُ غائبٌ، والدّين قد تُؤوّل على غير وجهه الصحيح، فقال (ع): «يا معشر الفقهاء، ويا أهل الحجى أنا حجة من الله عليكم هذه يدي مع أيديكم على أن نقيم حدود الله ونعمل بكتاب الله»، وإنّما استشعرَ الإمام زيد بن علي (ع) حُجيّته على النّاس عندما أحسّ وأحسّ من حولَه من إخوته (وعلى رأسهم الباقر) أنّه قد وصلَ إلى مرتبةٍ من الصّلاح تُؤهّله للقيام بفرض الإمامة، وتؤهّله لوجوب الإقبال من النّاس على دَعوته الجامعَة غير المُفرّقة، والإمام الباقر (ع)، فقد استعلمَ هذا المعنى في أخيه زيد (ع)، فجاءهُ جماعةٌ يسألونه عن البيعَة بالإمامة هل يُعطونَها لزيد، فقال الباقر (ع): «بايعُوه فإنّه اليومَ أفضَلُنا» [رواه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين في كتاب معرفة الله عزّ وجل]، **نعم** ! وكذلكَ كانَ الآباء الحسنيون والحسينيون يُربّون أبناءهم على منهج الدّعوة، وإقامَة الحجّة، والقيام بواجب الابتلاء الذي ألقاهُ الله على عاتقِ بني فاطمة، فهذا الإمام زيد بن علي (ع) وهو يُنازعُ آخر رمقات حياته يُوصي ابنه يحيى بن زيد فيقولُ له: «مَا فِي نفسك؟ قال [يحيى (ع)]: أن أُجاهِدَ القوم والله، إلاّ أن لا أجد أحداً يعينني، قال [زيد]: نعم يا بني جَاهِدهم، فوالله إنّك لعلى الحق وهم على الباطل، وإنّ قتلاكَ فِي الجنة وقتلاهم في النار» [المصابيح لأبي العبّاس الحسني]، وكذلك الحال مع بني الحسن (ع)، فإنّهم أصرّوا على تجرّع الأذى والويلات،

وأن يُساقوا جماعاتٍ جماعات إلى سجن أبي الدوانيق العبّاسي مُضحّين بأنفُسهِم فِي سبيل إنجاح ثورة ودَعوة الإمام النفس الزكية محمد بن عبد الله (ع)، وكذلك في التضحية والإيثار بالنفس والمال والولد من إدريس بن عبد الله (ع)، إلى محمد بن جعفر الصادق (ع)، إلى محمد بن إبراهيم طباطبا صاحب الكوفة، إلى الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي (ع)، الذي قال: «والله لولا كرامَة الله، ما نَظرتُ إلى هذا الأمر "يعني القيام بالدعوة والإمامة" » [سيرة الهادي إلى الحق (ع):٥٣]، وقال (ع) مُتكلّما عن حجمَ الابتلاء الواقع عليه كفردٍ فاطمي (والذي قد كان وقعَ على سلفه معشرـ الفواطم)، قال (ع): «والله الذي لا إلهَ إلاّ هُو، وحقّ محمد مَا طَلَبتُ هذا الأمر، مَا خَرجتُ اختياراً، [تأمّل] ولا خَرجتُ إلاّ اضطراراً لقيام الحجّة عليَّ، ولَوَددتُ أنّهُ كانَ لي سَعةٌ في الجلوس، وكيف لي بأن يَسَعَني الجلوس عن هذا الأمر الذي أنَا فيه مَزمومٌ بِزمام، ..، فما وَجدتُ إلاّ الخروج أو الكفر بما أنزلَ الله على محمد ﷺ » [سيرة الهادي إلى الحق (ع):٥٢] ، نعم ! فسادات بني الحسن والحسين (ع)، كانوا يرونَ أنّ الحجّة لازمَةٌ لهم وعليهم بالقيام بأمور الدّعوة (متى تغافل النّاس عنها) وأنّها واجبَةٌ عليهم، وكان الهادي إلى الحق (ع) يقول وهو ذاهب إلى اليمن لإقامة حجّة الله بالدّعوة: «والله لئن لَم يَستَوِ لي في اليَمن أمرٌ لا رَجَعتُ إلى أهلي، أو أضرِبَ الشرق والغرب حتّى أُقيم لله حجّته» [سيرة الهادي إلى الحق (ع):٥٠]، وللإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة (ع) كلامٌ رائقٌ حول نص الجعفرية على الأئمة بالأسماء والأعداد، وأنّه لو صحّ هذا لكان بنو فاطمة أفرحَ النّاس به، لأنّه سُيبعدُ عنهم الابتلاء ويُريحُهُم أيّما راحَة، ولكن لا سبيلَ إلى ذلك، فلا دليلَ ينهضُ عند تقارُع الحجج، ونَصب الكتاب والسنّة حكمَين، وتاريخ سادات بن الحسن والحسين السّابقين مُرجّح للباحِث الفَطين ، نعم ! ومنهُ أخي في الله، قد أطلنَا هُنا، لنستحضِرَ جميعاً ونؤمنَ أنّ النّظرة الأنموذجيّة الكاملَة التي نتمنّى وجودها في هذا الكون يكون معَها التّكليف على المُكلّفين أقلّ وأسهَل، إذ إنّ من أنموذجيّات الحياة، عدم وجود إبليس لَيعبُدَ النّاس الله

على التّمام بلا وسوسة ولا انحراف، ومن الأنموذجيّات المحُبّبة للنّفس أن يكون جميع النّاس مخلوقين مُجبرينَ على الطّاعة ليُطيعوا الله ويَعملوا فلا يكونُ هُناكَ كافرٌ على وجه الأرض، ومن الأنموذجيّات في الحياة ألاّ يُنعِمَ الله على كافرٍ بنعمةٍ قليلةٍ أو كثيرَة، وأن يكونَ حالُ المؤمنين هو الرّفاهيّة في العيش والترفّل في النعيم، لأنّ مَن أطاعَ الله أحقّ بنعم الله، والإنعامُ على الكُفّار يفتنَ المؤمنين، ولكن معشر العُقلاء، هل تحقّق هذا كلّه ؟! ألَيسَ الابتلاء الإلهي منعَ من حصول النّظرة الأنموذجيّة المفروضَة (على أنّ نظرة الجعفرية في الإمامة النصيّة ، الإمام بعد الإمام ليسَت أنموجيّة كاملَة، لوجود الغيبَة، والغيبَة تُخالف الأنموذجيّة في طريق الدّعوة والهداية من المعصومين إلى يوم الدّين)، نعم ! اللهم صلّ على محمد وآل محمّد، لسنَا بحاجة إلى ترديد الكلام، وشرحَ مكان النّص الجُملي على بني فاطمة، ووقوع الابتلاء على النّاس من الله بطاعتهم، ووقوع الابتلاء من الله على بني فاطمة بالاجتهاد لتحقيق شرط الصلاح والقيام بالدّعوة ، لتقدّمه .

نعم !، إن قيل: مادام هذا قولُكم في الابتلاء، وأنّه واردٌ من الله في حقّ العباد، ثمّ أنتُم تقولون إنّ مهمّة الأئمّة هي الدّعوة والهدايَة، فلماذا اعترضتُم علينا عندما قُلنا: بأنّ غياب إمامنا الثاني عشر المهدي المنصوص عليه، هُو من باب ابتلاء الله للعباد، حتّى يعلمَ الله الصّابرين المؤمنين من غيرهِم، والابتلاء يقف حجر عثرةٍ في طريق الأنموذجي المحُبّب للنّفس (والأنموذجيّ هُنا هو قيام الأئمة بالدّعوة والهداية، وقد تعذّر هذا مع ابتلاء الله للعباد بغياب المهدي)، نُريد جواباً شافياً ؟!! .

قُلنا: ليسَ كلامُكم القريبُ هذا إلاّ نابعٌ من عدم فهمٍ لمعنى الابتلاء الذي لا يَتعارَضُ معناه مع قيامٍ الحجّة على المُكلّفين، فجميعُ ابتلاءات الله لبني الإنسان لا تُسقِطُ الحجّة الإلهيّة عليهِم، ولتفهيمٍ أيسر وأسهل وأسلَس، سنقُسّم الابتلاء من الله للعباد، إلى ابتلاءين اثنين:

الابتلاء الأوّل: هُو أن يَبتلي الله العباد بفرضِ طاعته وعِبادَته، فيأمُر أباهُم آدَم بهذا،

ويأمُرُهُ أن يُعلّم أبناءه، ثمّ بعد موت آدم لم يُرسِل الله رَسولاً، ولا نبيّاً، ولا كتاباً، ولا مَلَكاً، ولا وَحياً، ولا حدّد الهُدى والدّعوة في جماعةٍ من النّاس بحيث إنّ الحقّ لن يَخرُج من عندهِم إلى يوم الدّين، نعم ! لم يَبعث الله ولم يُرسل أو يُجدّد شيئاً من هذا كلّه، من موت آدم إلى قيام السّاعة (وبين موت آدم والساعة آلاف السنين أو ملايين السنين)، وإبليسُ يمرحُ ويسرحُ مُجتهداً مُتفنّناً في إغواء عباد الله، فهذا الابتلاء أخي في الله ليس بواردٍ، والله تعالى مُنزّهُ عنه، ففيه تكليف للنّاس بأكثر من طاقتهم، والكتاب جزمَ بعدم تكليف الله للعباد إلاّ بما يُطيقون .

الابتلاء الثّاني: هُو أن يَبتلي الله العباد بفرض طاعته وعبادته، فيأمُرُ أباهم آدم بهذا، ويأمره أن يُعلّم أبناءه، ثمّ بعد موت آدم (ع)، لم يَزل الله تعالى مُقيماً حجّته على العباد، بإرسال الرّسل تَلو الرّسل، وحصر الحقّ والفضل في جماعات، كما حصل وأن فضّل بني إسرائيل وجعل الإمامة فيهم ومنهم للصالحين، وكما حصلَ وأن فضّل بني فاطمة وجعل الإمامة منهم وفيهم للصالحين، نعم ! ولم يَزل الله يَنزل الكتب السماوية تباعاً، والوحي غير مُنقطع عن أنبيائه ورسله، إلى خاتم الأنبياء والمُرسلين، فلمّا أراد الله انقطاع النبّوة بعد الرسول ﷺ، جعلَ لأمّته كتاباً محفوظاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (القرآن العظيم)، فهذا منه حجّة على أمّة محمّد وتيسيرٌ في التكليف والابتلاء، ثمّ زادَ الله تعالى لمّا عَلِمَ أنّ أمّة محمد ستفترقُ حول تأويل وتفسير وتدبّر القرآن، فجعلَ جماعةً فاطميّة لن يَنقطع عُلماؤهُم (أئمةً أو مُقتصدين) إلى يوم الدّين، جعلَ الحقّ معَهُم غير خارجٍ من دائرتهِم، وهُنا خففّ الله الابتلاء الذي سيحصُلُ بسبب الاختلاف حول فَهم الكتاب، وبعد هذا كلّه من الله تعالى، أوكلَ الابتلاء بعد التيسير والتخفيف وعدم استحالَة النجاح فيه، أوكلَهُ إلى العباد، وقال: هذا كتابُ ربّكم محفوظ مصونٌ عن التحريف، وهذه سنّة نبيّكم وحديثه الصحيح والسّقيم موجود في دفاتركم، وهذه عترة نبيّكم جماعةٌ موجودةٌ على الأرض، تعيشُ بينكم، السبيل إلى الوصول إليها غير مُستحيل، وقد ضمنتُ أنّ الحقّ لن يَخرُج من دائرة عُلمائها المواصلين لنهج وإجماعات آبائهم الفاطميين أباً فأباً، إلى علي بن

أبي طالب (ع)، نعم ! هُنا تأمّل هذا الابتلاء من الله تعالى، تجدهُ غير مُستحيل التّطبيق ، بدليلِ وقوفِ جماعَة من النّاس على جميع الخيوط التي تؤدّي إلى النّجاة، وبالتالي فقد اجتازوا ابتلاء الله بكل نجاح وتفوّق، خرجوا إلى الدّنيا غير مُكلّفين، وبعد أن كُلّفوا نظروا إلى كتاب الله تعالى فوجدوهُ يُشير إلى اصطفاء أقوامٍ وجماعات (كما مرّ في آياتٍ سابقة)، ثم نظروا إلى حديث رسول الله ﷺ، فوجدوا الأمة أجمَعت على أحاديث صحيحة تحثّ النّاس على الاقتداء بجماعات غير مُحدّدين أو محدودين معدودين يُسمّون أهل البيت، فتوجّه الباحث عن النّجاة إلى هذه الجماعة الفاطميّة الحسنية والحسينيّة يُريدُ الحقّ والهُدى، فإذا هُو يجدُ منهُم ثلاث طوائف كما أخبر الكتاب العزيز، ظالمين لأنفسهِم عاصين لله تعالى، وهؤلاء لا حاجَة للمكلّف بهم وهُم على ذلك الحال، ثم وجد الطائفة الثانية عالمَة عابدَة مُقتصدَة تدرّس وتُعلّم النّاس، ووجدَ طائفة ثالثة: تدّعي الإمامة وتقوم بالعلم والعمل والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، وكانوا على منهج الزيدية من المُسلمين، ثمّ سافر هذا المكلّف إلى بلادٍ أخرى فوجد فاطميين آخرين يَدعون الله ويتعبّدونه على مذهب الجعفريّة، ثمّ سافر المُكلَّف فوجد أناساً فاطميين يتعبّدون الله بمذهب الفرقَة السنيّة ، فأصبحَ المُكلّف حائراً، الكتاب والسنّة تدلّ على جماعات فاطميّة، وأنّ الحقّ لن يَخرُج عنهم إلى ورود الحوض، وأنا قد بحثتُ واجتهدتُ (بُغية إرضاء الله واجتياز الابتلاء بالوصول إلى المنهج المستقيم المضمون عدم مفارقته للحق)، نعم ! قد بَحثتُ واجتهدت عن جماعات بني فاطمة هؤلاء فوجدتُهم أصحاب مذاهب مختلفة، فمِنهُم الظّالمون لأنفسهِم حقّاً (ويدخلُ في صفة الظّلم للنفس العُلماء الفاطميون الذين اقتبسوا من غير علوم آبائهم فتمذهبوا بمذاهب شتّى غير مذاهب آبائهم)، ومنهُم المُقتصدون حقّا (المُلتزمون بكتاب الله تعالى ومنهج آبائهم أباً فأباً إلى علي (ع»، ومنهُم السّابقون بالخيرات الدّعاة حقّاً (المُلتزمون بكتاب الله تعالى ومنهج آبائهم أباً فأباً إلى علي (ع»، هُنا لا سبيلَ ولا طريقَ أمام المُكلّف إلاّ استعراض حال بني فاطمة هؤلاء من أوّل

السلسلة (من عند علي بن أبي طالب)، لا من وسطها (منتصف الزّمان)، ولا من آخرها (زمان حياة المفكَّر الباحث عن الحق)، فينظُر في كلام أمير المؤمنين، وأفعاله، ويَعرِضُ مصاديقها على هذه الفرق الفاطمية المختلفة، ثمّ ينظرُ إلى الحسن والحسين أفعالهم، وأقوالهم، ويعرضُ مصاديقها على هذه الفرق الفاطمية المختلفة، ثمّ ينظرُ إلى علي بن الحسين، وإلى الحسن بن الحسن، وإلى زيد بن الحسن، وإلى الباقر، وزيد بن علي، وعبد الله المحض، وجعفر الصادق، ومحمد النفس الزكية، والحسين الفخي، وموسى الكاظم، والحسين بن زيد بن علي، وعيسى بن زيد بن علي، وإدريس بن عبد الله المحض، ومحمد بن إبراهيم طباطبا، وأحمد بن عيسى بن زيد بن علي، والقاسم بن إبراهيم الرسي، وعبد الله بن موسى بن عبد الله المحض، ،، إلخ، نعم ! ثمّ ينظُر الباحث المجتهد عن الحقّ إلى مذاهب هؤلاء الرّجال المُتقدّمين الذين يسبقُ إلى الظنّ أنّهم أصحابُ مذهبٍ واحد، وكيانٍ واحِد، بدليل إجابة بني الحسن لداعي بني الحسين في الخروج والثورة وإقامة الحجّة، وإجابة بني الحسين لداعي بني الحسن في الخروج والثورة وإقامة الحجّة، وبدليلِ عدم ورودِ ما يُعارضُ هذا الذي يسبقُ إلى الذّهن من كونهِم على مذهب واحد، فيعمل الباحث على استعراض أقوالِهم، وأفعالهم، وعرضها على عقائد الفاطميين المختلفين في مذاهبهم، ثمّ ينتقلُ الباحث إلى المرحلَة الأخرى، وهي تتبّع السلسة الفاطمية من وسطها (منتصف الزّمان، من بعد القرن الثالث الهجري احتياطاً)، فينظُر علامَ اجتمعَت سُلالة أولئك السّابقين ممّن ذكرنا وممّن لم نذكرُ من سادات بني الحسن والحسين ؟! علامَ اجتمعَت من المذاهب والمشارب ؟! علامَ اجتمعَ سوادُهم، لأنّ سوادَهَم لا شكّ سيكونُ مُتأثّراً بأسلافهِم وآبائهِم، على اختلاف البُلدان والإقامات، فعندها سيجدُ الباحث يقيناً وقطعاً وجزماً، أنّ سادات أهل البيت في الحجاز ومكة المكرمة كانوا على مذهب الزيدية، وأنّ سادات بني الحسن والحسين في اليمن كانوا على مذهب الزيدية، وأنّ سادات بني الحسن والحسين في المغرب كانوا على مذهب الزيدية، وأنّ سادات بني الحسن والحسين في

جيلان وديلمان وطبرستان (بلاد إيران حالياً) كانوا على مذهب الزيدية، وأن سادات بني الحسن والحسين في الكوفة كانوا على مذهب الزيدية، وأن سادات بني الحسن والحسين في المخلاف السليماني كانوا على مذهب الزيدية، وأنّ سادات بن الحسن والحسين في اليمامة من مناطق نجد كانوا على مذهب الزيدية، إلى قرون مُتاخّرة ثمّ زاد الجهلُ بالنّاس، وطرأ ما طرأ بهم فتمذهبوا بمذاهب غير مذاهب آبائهم، فأصبحَ السنّي منهم يُعوّل على مذهب وأقوال وترجيحات أحمد بن حنبل أو الشافعي أو أبي حنيفة أو مالك، ويحتجّ بقول ابن تيمية، وابن القيّم، وابن عبد الوهّاب، والأشعري، دون قول آبائه سادات أهل البيت، فهؤلاء في الحقيقة قد بتروا التسلسل الحاصل، فلم يعد أصل عُلومهم عن آبائهم أباً، فأباً، إلى علي بن أبي طالب (ع)، وعند النّظر إلى الفرقة الزيدية، نجدُ أنّ تسلسلُ العلماء الفاطميين الحسنين والحسينين ما زالوا مُحافظين عليه، وما زالوا يُشيدون بالعصبة الفاطمية الزيدية التي بالكوفة والحجاز وطبرستان ويعتبرونَهُم لهم سلفاً، ثمّ إنّ المقتصدين أو السّابقين بالخيرات منهم لم يَنقطع وجودهم عن وجه الأرض زمنٍ ما (من بعد رسول الله ﷺ، وهُم الوحيدون من بين الفاطميين الذين يُشيدون ويحثّون النّاس على التمسّك بالإجماع الفاطمي، ويعتمدونَ عليهم في فقههم وعقيدتهم، ويُقدّمون أقوالَهم على أقوالِ غيرهِم، فسلسلة الزيدية المَرضيّة لم تُبتَر ولم تنقطع فعلاقتهم بسلفهم قائمةٌ مستقيمة، ولمزيد بيان انظر بحثنا «السادة الأشراف وعلاقتهم بالمذهب الشيعي الزيدي»، **نعم !** وبعد هذا كلّه فإنّ الباحث قطعاً (إن كان من أهل المَلَكة والإنصاف)، سيستطيعُ اجتيازَ امتحان الله تعالى له، فيصلّ إلى برّ الأمان، ويفوز فوزاً عظيماً، قال الله تعالى: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾[العنكبوت:٢-٣]، نعم ! وأمّا مذهب الجعفرية فإنّه خلاءٌ من تبعيّة سادات بني الحسن و الحسين لأئمتهم، فلا عبد الله المحض كان مُقرّا بإمامة نصيّة جعفريّة، ولا عيسى بن زيد بن علي كان مُقرّا بإمامة نصيّة جعفريّة،

ولا الحسن بن الحسن بن الحسن كان مقرّاً بإمامة نصيّة جعفرية، ولا الحسين بن زيد بن علي كان مقرّ بإمامة نصية جعفرية، ولا محمد وإبراهيم وإدريس ويحيى وسليمان أبناء عبد الله المحض كانوا يُقرّون ويُسلّمون بالإمامة النصيّة الجعفرية، ولا محمد بن جعفر الصادق، ولا زيد بن علي بن الحسين، ولا إبراهيم بن موسى الكاظم كانوا يُقرّون بإمامة نصيّة جعفريّة، ولا محمد بن إبراهيم طباطبا، ولا القاسم (الرسي) بن إبراهيم طباطبا، ولا أحمد بن عيسى بن زيد بن علي، ولا عبد الله الرضا بن موسى بن عبد الله المحض كانوا يُقرّون بالإمامة النصيّة الجعفريّة، فهؤلاء كانوا أبرأ النّاس وأعدا النّاس للنظريّة الجعفريّة النصيّة بشهادَة الجعفرية (على بعضِهِم) في كتبهم، فانظُر تراجمهم في معجم رجال أهل الحديث للسيد الخوئي تجدُ العجب العُجاب، فهل كان جميع هؤلاء السّادة جاحدين كافرين بفرض الإمامة، ما كانت ثوراتهم إلاّ للاستيلاء والمُلك ؟!! هذا دليلُ العقل الذي يجعلُ الباحث المُكلّف يستثني مذاهب الفاطميين المُتمذهبين بمذهب الجعفرية، إضافة إلى عدم شهادة الكتاب والسنة على وجود أدلّة على وجود أناس منصوصٍ عليهم محدودين معدودين في أمّة محمد ﷺ إلى يوم الدّين، نعم ! اللهم صلّ على محمد وآل محمد، خرجَ بنا شجون الكلام عن أصل مسألة الابتلاء (وإن لم يكُن كثيراً)، إلاّ أنّنا نُعيد ربطَ أول الكلام بآخره، وآخره بأوّله، فنقول إنّ هذا النّوع من الابتلاء (أي أصل الابتلاء) الذي ضربنا به المثال مع المكلّف الباحث لا يُعترض عليه البتّة، لأنّ المُكلّفين قادرون على اجتيازِ هذا الابتلاء، والوقوف على هؤلاء الفاطميين الموجودين بين النّاس، المُعايشين لهم، والمُخالطين لهُم . نعم ! وهُناك فائدة فرعيّة تُوجّه لِمنَ استبعدَ أن تكون إرادَة الله هي الابتلاء للعباد بالبحث عن أهل الحق من بني فاطمة على اختلاف مذاهبهم، وهُنا يُسأل هذا المُعترِض، عن واجبِه تجاه حديث رسول الله ﷺ الذي (لم يتكفّل الله بحفظه وصيانته عن التحريف، كنوع من الابتلاء أيضاً ، كما هُو الحَال مع القُرآن) ؟! إن قال: واجبٌ علينا التمحيص والتدقيق والتفتيش عن الصحيح الموافق للكتاب فنثبته،

والضعيف المخالف للكتاب فنتركه . وعندها سنقول: وكذلكَ عليك واجبُ البحث عن أقوال بني فاطمة التي لا تُخالف الكتاب ولا السنة، ولا تُخالف إجماعات سلفهم السّابقين من بني فاطمة، ولو تتبّعتَ ما فعلَهُ المكلّف الباحث في مثالِنا القريب لوجدتَ الحقّ ظاهراً، بإذن الله تعالى .

فإن قيل: فما رأيكم بعد كلامكم هذا في الابتلاء من الله تعالى على العباد في قول الجعفرية، هل هُو من الابتلاء الأوّل المُستحيل الوصول إلى الحقّ من خلاله، أم أنّه من الابتلاء الثّاني الذي لا يُحال معه الوصول إلى الحقّ، كما أثبتُم ذلك على قول الزيدية ؟!

قُلنا: لكمُ الحُكم يا سادَة، كتابٌ محفوظٌ، وسنةٌ مُختلفٌ حولَها، وأئمةٌ قبل عصر الغيبة مُفترضٌ أن يكونوا هُداة الأمّة، ولُطف الله في أرضه (على مذهب الجعفرية وحدّ قولهم)، حَصروا العِلم في خواصّ خواصّ أصحَابهِم دون بقية النّاس !! [انظر الرواية الأولى أدناه]، ومَن جاءهُم واستفتاهُم أعملُوا معهُ منهج التقيّة فأفتوهُ بغير الصّواب في المسألَة !! [انظر الرواية الثانية أدنَاه] ، وكذلك لم يُعلّموا خواص خواصّهم بأنّ الأئمة المنصوص عليهم هم اثنا عشر اسماً وعدداً، حتى أن أعضاد الإمام والمُقرّبين إليه لم يَكونوا يَعلمونَ مَن هُو الإمام بعد الإمام !! [انظر الرواية الثالثة أدنَاه]، ثمّ بعد هذا كلّه يفترض الله على العباد ابتلاءً أن يعرفوا هؤلاء الأئمة، وأن ينتهجوا بنهجِهم، فإن كان الطريقُ إلى هؤلاء الأئمّة مقطوعاً بحصر العِلم وعدم نشره ؟! فكيف السبيل يا ربّ العالَمين، لاجتياز هذا الامتحان والابتلاء هُل هو ابتلاءٌ يُحالُ الوصول إلى سبيل النجّاة من خلاله (وأنتَ منُزّه عن هكذا ابتلاء يا ربّ العالمين، إذ أنتَ لم تُكلّفنا ما لا نُطيق)، الجواب حول نوع هذا الابتلاء على منهج الجعفرية سيتّضح بعد استعراض حال إمامهم الأخير (عصر الغيبة)، إذ تكليف الله لنَا ما زال مُستمراً، وهو الاهتداء بهُدى الإمام، باحثٌ مُكلّف أشعري المذهب، أمَامَهُ كتاب الله، وأهل الإسلام مختلفون في تأويله، وأمامه سنة رسول الله ﷺ وأهل الإسلام مختلفون في التصحيح والتضعيف والتأويل، إلاّ أنّ الإجماع من

السنة والكتاب هو أنّ هُناك سبيل نجاة وهم علماء أهل البيت، فاتّجه هذا الباحث الأشعري إلى أهل البيت عندَ الجعفرية لكي يستضيءَ بهُداهُم، ويتفهّم الحقّ على ألسنتهم، فأخبروه أنّ ممثّل أهل البيت ليسَ إلاّ إماماً واحداً في هذا الزّمان، وهو محمد بن الحسن العسكري، أجابَ الأشعريّ الباحث وأين طريقَه لكي يقومَ لي بفرض الله عليه وهي هدايتي، كما قُمتُ أنا بفرض الله عليّ وهو إبلاء الجُهد في البحث عن أهل البيت، فعندها سيقول له الجعفرية إنّه غائبٌ لا نستطيع نحنُ ولا أنتَ الوصول إليه !! فيردّ الجعفرية: فهل كلّفني الله وابتلاني بطاعَة مَن لا أستطيع الوصول إليه، وليسَ أعلمُ له طريقاً ولا مكاناً ولا مسكناً ولا مَوضِعاً على وجه البسيطة ؟! كيف هذا والأمّة أجمعَت أن تكليف الله لنا هُو بقدر طاقَتنا !!، فإن ردّ عليه فقهاء الجعفريّة (أصحاب ولاية الفقيه، وأصحاب الحوزات العلمية)، فقالوا: ولكن هُناك حلّ لتأخُذَ بهُدى الإمام ومنهجه، وهُو أن تأخُذ ما جاء به عُلماء وفقهاء ومُحدّثو الجعفرية، فإنّ الإمام المهدي الغائب حثّ النّاس على الأخذ عنهم في زمن غيبتِه ؟! فعندها يُجيب الأشعري قائلاً: إنّي لم أُؤمَر إلاّ بالأخذ عن عُلماء أهل البيت، وأنتُم أخبرتُموني أنّه على مذهب الجعفرية، ليسَ إلاّ عالمٌ مُطلَقٌ واحد وهو المهدي الغائب، فلستُ أركنُ إلاّ إلى مَن أوصاني الله بالأخذ عنه، والاهتداء على يديه، ثمّ إنّي قد راجعتُ كتُبَكُم وروايات مُحدّثيكم فوجدتُكم تختلفون، وتُرجّحون، وتجتهدون، وتُضعّفون، وتُصحّحون حسبَ آرائكم المتفاوتة بانين على الظنّ، وهو خلاف رأيكم في اشتراط العصمَة المُطلقَة للحصول والوصول إلى الهِدايَة المُطلقَة، فهدايَتي المُطلقَة على يد الإمام المُطلَق، الذي لم تدلّوني على مكانه، وحسب قولكم من أنّه غائب من عام المائتين والستين إلى يوم النّاس هذا، فإنّي أتسائل عن لُطف الله هذا المُتعسّر الوقوف على ثمرته وفائدته، فهو من الله ابتلاءٌ لنا لسنا نقف على أطرافه، فمن عاش قَبلنا وكان مُجتهداً في طلب الحقّ ثم لم يقف عليه فالعُذر معه، والحقّ له، لأنّه لا سبيل إلى الوقوف على اللطف الإلهي وهو غائبٌ غير موجودٍ، فهو والعَدمُ سواء، فإذا قصَدنا الجعفرية لم نجد إلاّ

فقهاء وعُلماء كسائر عُلماء المذاهب الأخرى، لم نَجد إلاّ فقهاء جعفريين منهُم القائلون بالتحريف للقرآن، ومنهُم مَن لا يَقول، بغضّ النظر عن القلّة أو الكثرة في القائلين أو النافين، ومنهُم مَن يكُفر جماعة من الصحابة ثبتَ خطؤهُم، ومنهُم مَن لا يُكفّر، ومنهُم مَن يقول بالعصمة في حقّ الرّسل والأئمة حتّى من السّهو، ومنهم مَن يَلعنُ مَن قال بالعصمة من السّهو في حقّهم، ومنُهم من يقول بتنزيه الله تعالى عن الجسميّة ومنهُم مَن يقولُ بالتجسيم المُطلق كمشائخ القميين، ومنهُم من يحكم على بعض رجال الأحاديث بالضعف ومنهُم مَن يقوي نفس الرّجال الذي حكم عليهِم السّابقون بالضّعف ويترتّب على هذا تضعيف رواياتٍ صحيحة، أو تصحيح روايات ضعيفة عن الأئمّة المعصومين، نعم ! ومن هذا كلّه وعليه فإنّ الوصول إلى مَا أوجبَت الجعفريّة النّص عقلاً لأجله (وهو احتياج الشّعوب إلى قائدٍ وهادٍ ليقودهُم في مُختلف الأصعِدة) قد سقطَت الثمرة منه، وليسَ له وجودٌ عند العُقلاء، وليسَ الحجّة على العباد إلاّ مَن أقامَ الحجّة عليهِم وسعى وبذلَ نفسه ونفيسه في سبيل إتمامها، ألا تَرونَ أنّ الله تعالى لم يكُن ليحتجّ على النصارى بعيسى بن مريم لو أنّه رفعه إليه بعد ولادة مريم له مُباشرة (أي قبلَ أن يراه النّصارى)، ولم يكُن ليعتبرَهُ لُطفاً، ولم يكُن ليُلزم النّصارى بالبحث عنه وهو غائبٌ لا موضعَ له معروف، ولا جماعةٌ له مُخالطون، فإن أنتَ أخي الباحث وقفت على مغزى كلامنا هنا، فقف على أنّ الجعفرية بنَت عقيدتها على شيء أنموذجيّ مُبالغ فيه، يمنع قانون الله في الأرض (وهو الابتلاء) من تحقّقه، إضافةً إلى ذلك فإنّ الابتلاء على شرط الجعفرية (القائل بالغيبة في حقّ الدليل المُطلَق إلى النّجاة، واللطف الإلهي) هُو ابتلاءٌ مُستحيلٌ من خلاله الخروجُ بنتيجةٍ أو هدايةٍ من هذا الإمام (الغائب)، والله مُنزّهٌ عن كل ابتلاء (فيما يخصّ نجاة العباد ومعرفة الصراط المستقيم) ثمّ هُو لم يجعَل للعباد مخرجاً من خلاله يجتازونَ هذا الابتلاء، ليحصلوا على الدّرجات العُلى، ويَفوزوا الفوز المُظفّر، والله فهو الرّحمن الرحيم، والعليم الحكيم، ولا حِكمَة في أن يقولَ الأب لابنه اذهب إلى المدرّس

الذي في المدرسة المجاورة وتعلّم على يديه، فإن تعلّمتَ، أعطيتُك الجائزة، فيـذهبَ الابـن إلى المدرسَة فلا يجدُ مُدرّساً ليتعلّم على يديه، والأب قد اشترطَ التعليم والفهم لكي يُعطِيَ ابنه الجائزة، وعليه فلا سبيل لأن يأخُذَ الابن الجائزة لأنّه لم يتعلّم، وعدم تعليمه ناتجٌ مـن عدم وجود المُدرّس، وهذا هُو عينُ واقعنا مـع المهـدي الجعفـري، اللطـف الـذي جعلتـهُ الإمامية ذريعَة إلى القول بوجوب النّص على الأئمة بالاسم والعدد، والله المُستعان، وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين .

الراوية الأولى:

* روى ثقة الجعفرية محمد بن يعقوب الكليني، بإسناده: «عن فضـيل بـن يسـار قـال: قلـت لأبي عبدالله (ع): نَدعو الناس إلى هَذا الأمر؟ فقال: لا يَا فضيل!!، إنّ الله إذا أرادَ بِعبدٍ خيرا أمَر مَلكا فأخذ بعنقه، فأدخله في هذا الأمر طَائعا أو كَارِهَا»[أصول الكافي:١/ ١٦٧] .

الرواية الثانية:

* روى ثقة الجعفرية محمد بن يعقوب الكليني، بإسناده: «عن زرارة بـن أعـين، عـن أبي جعفر (ع) قال: سَألته عن مَسألةٍ فَأجابني، ثمّ جَاءه رَجُلٌ فَسأله عنها، فَأجابه بِخلاف مَا أجابني!!، ثمّ جَاء رَجل آخَر فأجَابَه بِخِلاف مَا أجَابني وأجَـاب صَـاحِبي!!، فلـمّا خَرَج الرّجُلان . قلت: يَا ابن رسول الله، رَجُلان مِن أهل العِراق مِن شيعتكم [تأمّـل أنّهما من الشيعة!!]، قدِمَا يَسألان، فَأجبت كل واحد منهما بغير مَا أجبت به صَـاحِبه؟ فقال: يَا زُرارة ! إنّ هذا خَير لنَـا، وأبقَـى لنَـا، ولكـن لـو اجتمَعـتم عـلى أمـر واحِـدٍ لصَدّقكم النّاس عَلينا، ولكَان أقلّ لِبقائنا وبَقائكُم» [أصول الكافي:١/ ٦٥] .

الرواية الثالثة:

* **[تأمّل هذه الرواية جيّدا ففيها فوائد جمّة، وبعد أن تُنهـي قراءتهـا، فـاعلم أنّ البخـاري**

ورواة الحديث الذين رَووا خبر الاثني عشر أميراً بالعدد (دون الاسم)، أفضـلُ حـالاً من جعفر الصادق (على شرط الجعفرية وعين مذهبهم)، لأنّه لم يُعلِم أصحابهُ بالأمراء أو الخلفاء الاثني عشر لا عدداً، ولا اسما، حتى استشكلَ الأمرُ عـلى كبـار كبـار أتباع الصّادق، ولم يَعرفوا مَن هُو الإمام بعد الصادق، وهذا دليلٌ على أنّهم غير عارفين لخبر الاثني عشر عددا واسماً، إذ لو كانوا به عـالِين، مـا احتـاجوا إلى حـيرةٍ وبُكـاءٍ في الأزقّة، وما احتاجَ بقيّة الشيعَ' أن يُبايعُوا ويتّبعوا أئمّة آخَرين ، فانظر هذه الروايـة]، روى ثقة الجعفرية محمد بن يعقوب الكليني، بإسناده، «عن هشام بن سالم [وهو أحـد أصحاب الصادق المقربين عند الجعفرية]، قال: كنّا بالمدينة بعد وفَـاة أبي عبـد الله (ع) أنا وصاحب الطاق [وهو أيضاً من المقـربين جـدا عنـد الصـادق بإجمـاع الجعفريـة]، والنّاس مُجتمعون على عبد الله بن جعفر أنه صَاحب الأمر بعدَ أبيه، فَـدخلنا عليـه أنـا وصَاحِب الطاق والنّاس عندَه، وذلك أنّهم رَوَوا عـن أبي عبـد الله (ع) أنـه قَـال: إنّ الأمر فِي الكبير مَا لم تكن به عاهة، فَدخلنا عليه نَسأله عمّا كنا نسأل عنه أبـاه، فسـألناه عن الزكاة في كم تجب؟ فقال: في مـائتين خمسـة، فقلنـا: ففـي مَائـة ؟ فقـال: دِرهمـان ونصف . فقلنا: والله ما تقول المُرجئة هذا، قال: فرفع يده إلى السـماء، فقـال: والله مـا أدري ما تقول المُرجئة، قال: [تأمّل] فخرَجنا مِن عندِه ضُلالاً لا ندري إلى أين نتوجّـه أنا وأبو جعفر الأحول، فقعَدنا فِي بعض أزقة المَدينة بَـاكين حيَـارى لا نَـدرِي إلى أيـن نتوجه ولا مَنْ نقصِد؟ ونقول: إلى المُرجئة؟ إلى القدرية؟ إلى الزيدية؟ إلى المعتزلـة؟ إلى الخوارج؟، فنحنُ كذلك إذ رأيتُ رجلا شيخا لا أعرفـه، يـومِي إليَّ بيـده فخفـت أن يكون عينا من عيون أبي جعفر المنصور، وذلك أنه كان له بالمدينة جواسـيس ينظـرون إلى من اتفقت شيعة جعفر (ع) عليه، فيضربون عنقه، فَخفت أن يكـون مـنهم فقلـت للأحول: تنحَّ فإني خائف على نفسي وعليك، وإنما يريـدني لا يُريـدُك، فتـنحَّ عنّـي لا تهلك وتُعين على نفسِك، فتنحَّى غير بَعيـد، وتبعـت الشـيخ وذلـك أني ظننـت أني لا اقدر على التخلص منه فما زلت أتبعه وقد عزمت على المَوت حتى وردَ بي على باب أبي

الحسَن (ع)، ثم خَلاني ومَضى، فإذا خادم بالباب فقال لي: ادخل رحمك الله، فـدخلت فإذا أبو الحسن موسى (ع) فقال لي ابتداءً منـه: لا إلى المرجئـة ولا إلى القدريـة ولا إلى الزيدية ولا إلى المعتزلة ولا إلى الخوارج إليَّ إليَّ فقلت جعلت فداك مَضى أبـوك؟ قـال: نعم، قلت: مضى موتا؟ قال: نعم، قلت: [تأمّل] فمَن لنا مِن بعده؟ فقال: إن شـاء الله أن يهديك هداك، قلت جعلت فداك إن عبد الله يزعم أنه من بعد أبيه، قال: يريد عبـد الله أن لا يُعبَد الله، قال: قلت: جعلت فداك فمَن لنا مِـن بَعـده؟ قـال: إن شـاء الله أن يهديك هداك، قال: قلت: جعلت فداك فأنت هو؟ قال: [تأمّل]، لا، ما أقـول ذلـك، قال: فقلت في نفسي لم اصب طريق المسألة، ثم قلت له: جعلـت فـداك عليـك إمـام؟ قال: لا فداخلني شئ لا يعلم إلا الله عز وجل إعظاما له وهيبة أكثر ممـا كـان يحـل بي من أبيه إذا دخلت عليه، ثم قلت له: جعلت فـداك أسـألك عـما كنـت أسـأل أبـاك؟ فقال: [تأمّل] سَل تُخبَر، ولا تُذِع، فإن أذعت فهـو الـذبح، فسـألته فـإذا هـو بحـر لا ينزف، قلت: جعلت فداك شيعتك وشيعة أبيك ضُلال [أي لا يعرفون أنّـك الإمـام، ومنه لا ندري مـا هـو دور جعفـر الصـادق في الهدايـة والقيـادة للأمّـة إن كـان كبـار أصحابه كهشام بن سالم، ومومن الطاق الأحول، وصـغار شـيعته لا يعرفـون الإمـام بعد الإمام حتى ضلّوا، نعم ! أرادَ هشام بن سالم أن يقوم بدور في الهداية أكبر من دور الإمام المنصوص عليه المعصوم جعفر الصادق، وذلك أنّه طلب من موسى الكـاظم، أن يقومُ بإخبار النّاس بأمر إمامته، فقال هشـام للكـاظم:] فـألقي إلـيهم وأدعُـوهم إليك؟ وقد أخذتَ عَليّ الكتمان؟ قال: مَن آنسـتَ مِنـه رَشـدا فـألق إليـه وخـذ عليـه الكتمان فإن أذاعوا فهو الذبح – وأشار بيـده إلى حلقـه – قـال: فخرجـت مـن عنـده فلقيت أبا جعفر الأحول فقال لي: ما وراءك؟ قلت: الهدى فحدثته بالقصـة قـال: ثـم لقينا الفضيل وأبا بصير [وهما من كبار أصحاب الصـادق (ع) ثـم مـع هـذا لم يكونـا يعلمان الحديث الاثني عشري بالعدد والاسم] فَدخلا عليه وسـمعا كلامـه وسـاءلاه وقطعا عليه بالإمامة، ثم لقينا الناس أفواجا فكل من دخل عليه قطع إلا طائفـة عـمار

وأصحابه وبقي عبد الله لا يدخل إليه إلا قليل من الناس، فلمّا رأى ذلك قال: مَا حال الناس؟ فَأخبِرَ أن هشاما صدّ عنك الناس، قال هشام: فأقعـدَ لِي بالمدينـة غـير واحِـدٍ ليضربُونِي» [أصول الكافي:١/ ٣٥٢] .

[القسم الثاني: مُناقشة دلالة بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على اتّبَاع أشخاص منصوص عليهم]:

إن قيل: ثبتَ لدينا ولدى الزيدية، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «إنّي تاركٌ فيكم ما إن تمسّكتم به، لن تضلّوا من بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إنّ اللطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض »، وثبتَ أيضاً أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح مَن ركبَها نجا ومَن تخلّف عنها غرق وهوى»، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أهل بَيتِي أمَانٌ لأهل الأرض كمَا أنّ النجوم أمَانٌ لأهلِ السّماء، فويلٌ لِمَن خَذلهم وعَاندَهُم»، نعم ! فهذه الأحاديث المحمديّة، تدلّ على عترةٍ وأهل بيتٍ قُرِنَ التمسّك بهم بعدم الضلال «لن تضلّوا»، وعدم مفارقَة الحقّ «لن يفترقا»، وقُرنوا بالنجّاة «من ركبها نجا»، وقُرنوا بالأمان في الاتّباع لهم «أمانٌ لأهل الأرض»، فهذه الأحاديث أخي الزيدي في المُتابَعة لأهل البيت، فهي إمّا أن يكونَ المُرادُ منها على شرطكم، أنّ جميع بني فاطمة (ذرية الحسن والحسين) مُقارنون للكتاب غير مفارقين له (وهذا باطلٌ إجماعاً)، وإمّا أن يكون جميعهم مُفارقين للكتاب غير مُلازمين له (وهذا باطلٌ أيضاً إجماعاً)، وإمّا أن يكونَ منهُم طائفةٌ مُقارنةٌ للكتاب مُلازمةٌ له واجبةَ الاتّباع، وطائفةٌ مُفارقَةً للكتاب غير ملازمَة له وهي غير واجبَة الاتّباع، نعم ! ومنه أخبرونا معشرـ الزيدية عن هذه الطائفة من الفاطميين التي لا تُخالفُ الحق، وهي مُلازمة للقرآن، وفي الانتهاج بنهجها يكون الأمان، وتكونُ النجاة، أليسَ في هذا الإخبار بالمُلازمَة المُطلقَة لهؤلاء الفاطميين للحق، والمُلازمَة المُطلقَة تعني النّص والعصمَة ؟! .

قُلنا: اعلم هدانَا الله وإيّاك ، أنّ أهل البيت (ع)، جميع الذرية الفاطمية، مُكلّفةٌ حالُها

كحالِ سائر النّاس، مُكلّفةٌ بالإيمان بالكتاب والسنّة والاقتداء مع الاجتهاد في تطبيق نهج آبائهم والعَمل به ليكونوا مثلَهُم في القُدوَة، وهُم فمتى كانوا مِثلَهُم في القُدوة، أصبحُوا قُدوةً لِمَنَ بعدَهُم، وواجبٌ على مَن بعدَهُم أنّ يتّبعَ سبيلَهُم، لأنّهم اقتدوا بالكتاب وأقوال وإجماع الأسلاف المجتهدين من بني فاطمة، مثاله: علي بن أبي طالب (ع)، والحسن بن علي، والحسين بن علي (ع) ، أجمَعنا والجعفرية على عصمتهم عن القول الفاسد في الدّين، لمكان النّص الذي ثبتَ عليهِم صلوات الله عليهم، فعاشَ النّاس بعد موتِ الحسين بن علي (ع)، ووجدوا من بني فاطمة مِن العُلماء ثلاثَة، علي بن الحسين، والحسن بن الحسن، وزيد بن الحسن، ووجدوا أمامهُم أحاديث ثابتة عن الرّسول ﷺ، وهي أحاديث الثقلين، والسفينة، والنجوم، وكلّها تقول بوجوب التمسّك بأهل البيت (ع)، وأهل البيت فهم صالحُوا الذريّة الفاطميّة، وإنّما قُلنا صالحوا الذريّة الفاطمية لأنّ الطّالحَ منهُم لن يكونَ أهلاً للاقتداء، والله قد استثنى إمامته ﴿لا يَنال عَهدي الظّالمين﴾، ولقرينة المُلازمَة للكتاب، وحصول النجاة، تقرّر أنّ المقصود بالاتّباع ليسَ جميع ذريّة فاطمة، بل العُلماء والصّالحين منهم، **نعم !** لم نَجدِ بعد موت الحسين (ع)، إلاّ علي بن الحسين، والحسن بن الحسن، وزيد بن الحسن، فأردنا تطبيق حديث الرّسول ﷺ، فأتينا هؤلاء الثّلاثَة، فوجدناهُم يحثّون النّاس على المُتابَعة للكتاب، ولِما صحّ عن رسول الله ﷺ، ولِما أجمعَ عليه علي والحسن والحسين، فاجتهدَ هؤلاء الثلاثة في تطبيقِ منهج الله، ومنهج الرّسول ﷺ ، ومنهج علي، ومنهج الحسن، ومنهج الحسين، وأفتوا وأصّلوا ما أظهرتهُ عُلومهُم، فهنا أخي في الله الجعفري لَزِمَ هذا المكلّف أن يُتابعَ منهجَ علي بن الحسين، والحسن بن الحسن، وزيد بن الحسن، لأنّ عقيدة الثلاثة واحِدَة (على شرط الزيدية)، وثبوتُ مُتابَعتهِم لآبائهم (علي والحسن والحسين)، ظاهرٌ في اتّفاقهِم على أنّ ما هُم عليه هُو مذهبُ (الثلاثة)، وأنّه مذهبُ آبائهِم، فهذه الطائفة من فروع الذريّة الفاطمية واجبَةُ الاتّباع، لأنّها تمسكّت بمنهج الكتاب، وصحيح حديث الرّسول ﷺ، وما أقرّه إجماع

آبائهم السّابقين، (و علي بن الحسين والحسن بن الحسن، وزيد بـن الحسـن، قـد انطبقَـت عليهِم هذه الشروط التـي بهـا يكونـوا أحـدَ مَـن يصـدُقُ علـيهم وجـهُ حـديث الثقلـين والسفينة، ويجب على النّاس اتّبـاعهم لأجـل انطبـاق هـذه المصـاديق علـيهم، فعـلي بـن الحسين، والحسن بن الحسن، وزيد بن الحسن، تمسّكوا بمنهج الكتاب، وصحيح حـديث الرّسول ﷺ، وبإجماع سـلفهم الفـاطمي (عـلي والحسـن والحسـين) في الـدّين، فهـذه الطّائفة الفاطمية أخي الجعفري التي حقّقت الشروط الثلاثة هي الواجبَـة الاتّبـاع، وهـي التي لن تُفارقَ الكتاب في عقيدتها وقولِها، لأنّ الله ضـمِنَ أنّ اجـتماع صـالحي الفـاطميين هؤلاء لن يُفارقَ الحق، والحقّ لن يُفارقَهُم، فحديثُ الثّقلين يتكلّم عـن إجمـاع عُلـماء بنـي فاطمة الصّالحين، وأنّ هذا الإجماع لن يُفارقَ كتاب الله تعالى، وإجماعُهم يَدخلُ تحتَهُ طائفةٌ حسنيّةٌ وحُسينيّة، لابدّ أن تتحقّق فيهم شروطٌ ثلاثَـة، **الأوّل**: الالتـزام بمـنهج الكتـاب . **والثّاني**: الالتزامُ بصحيح حديث الرّسول ﷺ . **والثّالث**: ألاّ يُخالفوا على ما أجمعَ عليه سلفُهم من سادات بني الحسن والحسين، فمن تحقّقت فيه هذه الشروط مـن بنـي فاطمـة، وجبَ على النّاس الاقتداء به، والسّمع والطّاعَة له، لأنّهم لن يُخرجوا النّاس من هُـدى إلى ضلالَة، وكيف يُخرجونَ النّاس من الهُدى إلى الضّلال، وهُم مُتمسّكون بأصـولٍ عظيمـة، كتابٌ، وسنّةٌ، وإجماعُ آباءٍ فـاطميّ حسـنيٍّ وحُسـينيٍّ معصـوم ضـمِنَ الله ورسـوله عـدم مفارقتهِم للكتاب، ولمزيد تفهيمٍ، سنضربُ على ما سبقَ أمثلةً مُيسّرـة: **المثـال الأوّل**: نظـرَ المُعاصرون إلى سادات بني الحسن والحسـين في أزمـانهم بعـد النّظـر في حـديث الثقلـين، والسفينة، والنجوم، فوجدوا علي بن الحسين زين العابدين، والحسن بن الحسن، وزيد بن الحسن، فحتّم عليهم البحث أن يعرفوا مَن مِن هؤلاء الثلاثة يصدقُ عليه حديث الثقلـين فيكونُ في عقيدته مُلازماً للكتاب، فنظرَ هؤلاء الباحثون إلى عـلي بـن الحسـين، وأعملُـوا المعايير الثلاثَة عليه، فوجدوهُ مُلتزماً بكتاب الله تعـالى، يستشـهدُ في تبيينـه وتفسـيره عـلى صحيح سنّة رسول الله ﷺ، ويَعملُ بما فهِمَهُ منهُ سـلفهم الفـاطمي (عـلي، والحسـن،

والحسين)، فقطعَ الباحثون بأنّ مَن كان هذا منهجُه فإنّه واحدٌ من مصاديق حديث الثّقلين، وأنّ أخذ العلم عنهُ لن يُخرِجَ من الهُدى إلى الضلال أبداً، نعم ! ثمّ نظرَ الباحثون إلى حال الحسن بن الحسن، وأعملوا المعايير الثلاثة عليه، فوجدوهُ مُلتزماً بكتاب الله تعالى، يستشهدُ في تبيينه وتفسيره على صحيح سنّة رسول الله ﷺ، ويَعملُ بما فهِمَهُ منهُ سلفهم الفاطمي (علي، والحسن، والحسين) ، فقطعَ الباحثون بأنّ مَن كان هذا منهجُه فإنّه واحدٌ من مصاديق حديث الثّقلين، وأنّ أخذ العلم عنهُ لن يُخرِجَ من الهُدى إلى الضلال أبداً، نعم ! ثمّ نظرَ الباحثون إلى حال زيد بن الحسن، وأعملوا المعايير الثلاثة عليه، فوجدوهُ مُلتزماً بكتاب الله تعالى، يستشهدُ في تبيينه وتفسيره على صحيح سنّة رسول الله ﷺ، ويَعملُ بما فهِمَهُ منهُ سلفهم الفاطمي (علي، والحسن، والحسين)، فقطعَ الباحثون بأنّ مَن كان هذا منهجُه فإنّه واحدٌ من مصاديق حديث الثّقلين، وأنّ أخذ العلم عنهُ لن يُخرِجَ من الهُدى إلى الضلال أبداً، فاجتمعَ أمرُ هؤلاء الباحثين على أنّ مصاديق حديث الثقلين تنطبقُ على جماعَة حسنية وحسينية من أهل عصرهِم، واجبَة الاتّباع، وهم علي بن الحسين، والحسن بن الحسن، وزيد بن الحسن، وأنّ عقيدة الثلاثة في الله واحدَة، وأنّ عقيدتَهُم هي عقيدةُ آبائهم، فرأيُهم هذا مع رأي سلفهم إجماعٌ فاطميٌّ معصوم لن يُخالف كتاب الله تعالى إلى ورود الحوض، ومَن دانَ الله به فقد ركبَ سفينة نجاةٍ لن تَزيغ .

المثال الثّاني: نظرَ المُعاصرون إلى سادات بني الحسن والحسين في أزمانهم بعد النّظر في حديث الثقلين، والسفينة، والنجوم، فوجدوا محمد بن علي الباقر، وزيد بن علي بن الحسين، وعبد الله المحض، فحتّمَ عليهم البحث أن يَعرفوا مَن مِن هؤلاء الثلاثة يصدقُ عليه حديث الثقلين فيكونُ في عقيدته مُلازماً للكتاب، فنظرَ هؤلاء الباحثون إلى محمد الباقر، وأعملُوا المعايير الثلاثَة عليه، فوجدوهُ مُلتزماً بكتاب الله تعالى، يستشهدُ في تبيينه وتفسيره على صحيح سنّة رسول الله ﷺ، ويَعملُ بما فهِمَهُ منهُ سلفهم الفاطمي (علي، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، والحسن بن الحسن، وزيد بن الحسن)، فقطعَ

الباحثون أنّ مَن كان هذا منهجُه فإنّه واحدٌ من مصاديق حديث الثّقلين، وأنّ أخذ العلم عنهُ لن يُخرِجَ من الهُدى إلى الضلال أبداً، نعم ! ثمّ نظرَ الباحثون إلى حال زيد بن علي بن الحسين، وأعملوا المعايير الثلاثة عليه، فوجدوهُ مُلتزماً بكتاب الله تعالى، يستشهدُ في تبيينه وتفسيره على صحيح سنّة رسول الله ﷺ، ويَعملُ بما فهِمَهُ منهُ سلفهم الفاطمي (علي، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، والحسن بن الحسن، وزيد بن الحسن)، فقطعَ الباحثون أنّ مَن كان هذا منهجُه فإنّه واحدٌ من مصاديق حديث الثّقلين، وأنّ أخذ العلم عنهُ لن يُخرِجَ من الهُدى إلى الضلال أبداً، نعم ! ثمّ نظرَ الباحثون إلى حال عبد الله المحض، وأعملوا المعايير الثلاثة عليه، فوجدوهُ مُلتزماً بكتاب الله تعالى، يستشهدُ في تبيينه وتفسيره على صحيح سنّة رسول الله ﷺ، ويَعملُ بما فهِمَهُ منهُ سلفهم الفاطمي (علي، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، والحسن بن الحسن، وزيد بن الحسن)، فقطعَ الباحثون أنّ مَن كان هذا منهجُه فإنّه واحدٌ من مصاديق حديث الثّقلين، وأنّ أخذ العلم عنهُ لن يُخرِجَ من الهُدى إلى الضلال أبداً، فاجتمعَ أمرُ هؤلاء الباحثين على أنّ مصاديق حديث الثقلين تنطبقُ على جماعَة حسنية وحسينية من أهل عصرهِم، واجبَة الاتّباع، وهم محمد الباقر، وزيد بن علي بن الحسين، وعبد الله المحض، وأنّ عقيدة الثلاثة في الله واحدَة، وأنّ عقيدتَهُم هي عقيدةُ آبائهم، فرأيهُم هذا مع رأي سلفهم إجماعٌ فاطميٌّ معصوم لن يُخالف كتاب الله تعالى إلى ورود الحوض، ومَن دانَ الله به فقد ركبَ سفينة نجاةٍ لن تَزيغ . **المثالُ الثّالث**: نظرَ المُعاصرون إلى سادات بني الحسن والحسين في أزمانهم بعد النّظر في حديث الثقلين، والسفينة، والنجوم، فوجدوا جعفر الصّادق، ومحمد بن عبد الله النفس الزكيّة، وعيسى بن زيد بن علي، وإبراهيم بن عبد الله النفس الرضيّة، فحتّمَ عليهم البحث أن يَعرفوا مَن مِن هؤلاء الأربعة يصدقُ عليه حديث الثقلين فيكونُ في عقيدته مُلازماً للكتاب، فنظرَ هؤلاء الباحثون إلى جعفر الصّادق، وأعملُوا المعايير الثلاثَة عليه، فوجدوهُ مُلتزماً بكتاب الله تعالى، يستشهدُ في تبيينه وتفسيره بصحيح سنّة رسول الله ﷺ،

ويَعملُ بما فهِمَهُ منهُ سلفهم الفاطمي (علي، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، والحسن بن الحسن، وزيد بن الحسن، ومحمد الباقر، وزيد بن علي، وعبد الله المحض)، فقطعَ الباحثون بأنّ مَن كان هذا منهجُه فإنّه واحدٌ من مصاديق حديث الثّقلين، وأنّ أخذ العلم عنهُ لن يُخرِجَ من الهُدى إلى الضلال أبداً، نعم ! ثمّ نظرَ الباحثون إلى حال محمد بن عبد الله النفس الزكية، وأعملوا المعايير الثلاثة عليه، فوجدوهُ مُلتزماً بكتاب الله تعالى، يستشهدُ في تبيينه وتفسيره على صحيح سنّة رسول الله ﷺ، ويَعملُ بما فهِمَهُ منهُ سلفهم الفاطمي (علي، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، والحسن بن الحسن، وزيد بن الحسن، ومحمد الباقر، وزيد بن علي، وعبد الله المحض)، فقطعَ الباحثون بأنّ مَن كان هذا منهجُه فإنّه واحدٌ من مصاديق حديث الثّقلين، وأنّ أخذ العلم عنهُ لن يُخرِجَ من الهُدى إلى الضلال أبداً، نعم ! ثمّ نظرَ الباحثون إلى حال عيسى بن زيد بن علي، وأعملوا المعايير الثلاثة عليه، فوجدوهُ مُلتزماً بكتاب الله تعالى، يستشهدُ في تبيينه وتفسيره على صحيح سنّة رسول الله ﷺ، ويَعملُ بما فهِمَهُ منهُ سلفهم الفاطمي (علي، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، والحسن بن الحسن، وزيد بن الحسن، ومحمد الباقر، وزيد بن علي، وعبد الله المحض)، فقطعَ الباحثون بأنّ مَن كان هذا منهجُه فإنّه واحدٌ من مصاديق حديث الثّقلين، وأنّ أخذ العلم عنهُ لن يُخرِجَ من الهُدى إلى الضلال أبداً، نعم ! ثمّ نظرَ الباحثون إلى حال إبراهيم بن عبد الله النفس الرضية، وأعملوا المعايير الثلاثة عليه، فوجدوهُ مُلتزماً بكتاب الله تعالى، يستشهدُ في تبيينه وتفسيره على صحيح سنّة رسول الله ﷺ، ويَعملُ بما فهِمَهُ منهُ سلفهم الفاطمي (علي، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، والحسن بن الحسن، وزيد بن الحسن، ومحمد الباقر، وزيد بن علي، وعبد الله المحض)، فقطعَ الباحثون بأنّ مَن كان هذا منهجُه فإنّه واحدٌ من مصاديق حديث الثّقلين، وأنّ أخذ العلم عنهُ لن يُخرِجَ من الهُدى إلى الضلال أبداً، فاجتمعَ أمرُ هؤلاء الباحثين على أنّ مصاديق حديث الثقلين تنطبقُ على جماعَة حسنية وحسينية من أهل عصرهِم، واجبَة

الاتّباع، وهم جعفر الصّادق، ومحمد بن عبد الله النفس الزكية، وعيسى بن زيد بن علي، وإبراهيم بن عبد الله النفس الرضيّة، وأنّ عقيدة الأربعَة في الله واحدَة، وأنّ عقيدتَهُم هي عقيدةُ آبائهم، فرأيُهم هذا مع رأي سلفهم إجماعٌ فاطميٌّ معصوم لن يُخالف كتاب الله تعالى إلى ورود الحوض، ومَن دانَ الله به فقد ركبَ سفينة نجاةٍ لن تَزيغ . **المثالُ الرّابع**: يُقالُ في موسى الكاظم، ويحيى بن عبد الله المحض، وإدريس بن عبد الله، والحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن صاحب فخ، وعلي بن موسى الرّضا، ومحمد بن إبراهيم طباطبا، وأحمد بن عيسى بن زيد بن علي، والقاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا، يُقال فيهم جميعاً مثل القول السّابق، ويُطبّق عليهم المعايير الثلاثة السّابقة، والجواب القطعي أنّ عقيدتهم في الله واحدة، وأنّ عملُهم مُقيّدُ بما أجمعَ عليهم سلفهم الفاطمي السّابق الذّكر، فهؤلاء من اتّبعَهُم في عقائدهم لن يَخرُج من هُدى إلى ضلالٍ أبداً إلى ورود الحوض . **المثال الخامس**: نظرَ المُعاصرون للقرن الخامس الهجري إلى سادات بني الحسن والحسين في أزمانهم بعد النّظر في حديث الثقلين، والسفينة، والنجوم، فوجدوا الشريف المرتضى علي بن الحسين بن موسى، من ذرية إبراهيم بن موسى الكاظم، حسيني الأصل، ووجدا الإمام القاسم العياني بن علي بن عبد الله بن بمحمد بن القاسم الرسي، حسني الأصل، ووجدوا الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني، من ذرية الحسن بن زيد بن الحسن، حسني الأصل ، فحتّمَ عليهم البحث أن يَعرفوا مَن مِن هؤلاء الثلاثة يصدقُ عليه حديث الثقلين فيكونُ في عقيدته مُلازماً للكتاب، فنظرَ هؤلاء الباحثون إلى الشريف المرتضى، وأعملُوا المعايير الثلاثَة عليه، فوجدوهُ مُلتزماً بكتاب الله تعالى، يستشهدُ في تبيينه وتفسيره على صحيح سنّة رسول الله ﷺ، ويَعملُ بما فهِمَهُ منهُ (من الكتاب) غير سلفه الفاطمي، أي يعتمدُ على غير فهم سلفه للكتاب وصحيح السنّة، وسلفه هم (علي، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، والحسن بن الحسن، وزيد بن الحسن، ومحمد الباقر، وزيد بن علي، وعبد الله المحض، وجعفر الصادق، ومحمد بن عبد الله النفس

الزكية، وعيسى بن زيد بن علي، وإبراهيم بن عبد الله النفس الرضية، وموسى الكاظم، ويحيى بن عبد الله المحض، وإدريس بن عبد الله، ومحمد بن إبراهيم طباطبا، وعلي بن موسى الرضا، وأحمد بن عيسى بن زيد، والقاسم الرسي بن إبراهيم، وعبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض)، وذلكَ أنّ الشريف المرتضى (ع) قد أخذَ عُلوماً مُخالفةً لعلوم سلفه، أخذها وهو طفل صغير لم يتجاوز الثامنَة عن الشيخ المفيد الجعفري، فقطعَ الباحثون بأنّ مَن كان هذا منهجُه فإنّه ليسَ من مصاديق حديث الثّقلين، وأنّ أخذ العلم عنهُ يُخرجُ من الهُدى إلى غيرِه، لأنّ المعايير الثلاثة لم تنطبِق عليه، فعلومهُ ليسَت عُلومَ سابقيه من سادات بني الحسن والحسين، الذين اجتهدُوا على مُتابعَة آبائِهم، والمُحافظة على إحياء إجماعاتهِم، فالشريف المرتضى بترَ سلسلة علومه عن علوم آبائه، فأصبح رجُلاً فاطميّا تابعاً لآراء الرّجال، ومناهج الرّجال، دون آراء أهل البيت، بدليل ردّه على عقائد كثيرٍ ممّن ذكرنَا منهم، وبهذا خرجَ عن أن يكون مِصداقاً لحديث الثقلين، **نعم !** ثمّ نظرَ الباحثون إلى حال الإمام القاسم بن علي العياني الحسني، وأعملوا المعايير الثلاثة عليه، فوجدوهُ مُلتزماً بكتاب الله تعالى، يستشهدُ في تبيينه وتفسيره على صحيح سنّة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ويَعملُ بما فهِمَهُ منهُ سلفهم الفاطمي (علي، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، والحسن بن الحسن، وزيد بن الحسن، ومحمد الباقر، وزيد بن علي، وعبد الله المحض، وجعفر الصادق، ومحمد بن عبد الله النفس الزكية، وعيسى بن زيد بن علي، وإبراهيم بن عبد الله النفس الرضية، وموسى الكاظم، ويحيى بن عبد الله المحض، وإدريس بن عبد الله، ومحمد بن إبراهيم طباطبا، وعلي بن موسى الرضا، وأحمد بن عيسى بن زيد، والقاسم الرسي بن إبراهيم، وعبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض)، فقطعَ الباحثون بأنّ مَن كان هذا منهجَه فإنّه واحدٌ من مصاديق حديث الثّقلين، وأنّ أخذ العلم عنهُ لن يُخرِجَ من الهُدى إلى الضلال أبداً، ودليلُ مُتابعته هي مُطابقَة عقيدته لعقائد المُتقدّمين، واعتبارهِ لهم أسلافا يُقتدى بهم، وحرصه على إحياء حجيّة إجماع هؤلاء

السّلف، نعم ! ثمّ نظرَ الباحثون إلى حال الإمـام المؤيـد بـالله أحمـد بـن الحسـين الهـاروني الحسني، وأعملوا المعايير الثلاثة عليه، فوجدوهُ مُلتزماً بكتاب الله تعالى، يستشهدُ في تبيينه وتفسيره على صحيح سنّة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ويَعملُ بما فهِمَهُ منهُ سلفهم الفاطمي (عـلي، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، والحسن بـن الحسـن، وزيـد بـن الحسـن، ومحمـد الباقر، وزيد بن علي، وعبد الله المحـض، وجعفـر الصـادق، ومحمـد بـن عبـد الله الـنفس الزكية، وعيسى بن زيد بن علي، وإبراهيم بن عبد الله النفس الرضـية، وموسـى الكـاظم، ويحيى بن عبد الله المحض، وإدريس بن عبد الله، ومحمد بـن إبـراهيم طباطبـا، وعـلي بـن موسى الرضا، وأحمد بن عيسى بن زيد، والقاسم الرسي بن إبراهيم، وعبد الله بن موسـى الجون بن عبد الله المحض)، فقطعَ الباحثون بأنّ مَـن كـان هـذا منهجُـه فإنّـه واحـدٌ مـن مصاديق حديث الثّقلين، وأنّ أخذ العلم عنهُ لن يُخرِجَ من الهُدى إلى الضلال أبداً، ودليـلُ مُتابعته هي مُطابقَة عقيدته لعقائد المُتقدّمين، واعتبارِهِ لهم أسـلافا يُقتـدى بهـم، وحرصـه على إحياء حجيّة إجماع هـؤلاء السّـلف . **نعـم !** فـاجتمعَ أمـرُ هـؤلاء البـاحثين عـلى أنّ مصاديق حديث الثقلين تنطبقُ على جماعَة حسـنية وحسـينية مـن أهـل عصرـهِم، واجبَـة الاتّباع، وهم الإمام القاسم العياني من ذرية إبراهيم بن الحسن بن الحسن السبط، والإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني، من ذرية الحسن بن زيد بن الحسن السبط، وأنّ عقيدة الاثنين في الله واحدَة وهي الزيدية، وأنّ عقيدتَهُم هي عقيدةُ آبائهم، فـرأيهُم هـذا مـع رأي سلفهم إجماعٌ فاطميٌّ معصوم لن يُخالف كتاب الله تعالى إلى ورود الحـوض، ومَـن دانَ الله به فقد ركبَ سفينة نجاةٍ لن تَزيغ . **نعم !** وعلى هـذا فقـس أخـي الباحـث، واعلـم أثنـاء بحثِكَ أنّ مَن كان من الفاطميين يعتمدُ على آراء الرّجال دون آراء أهل البيت، ويستشـهدُ على الحقّ بغير آراء أهل البيت، كما يعتمـدُ الـبعض عـلى أحمـد بـن حنبـل، وعـلى مالـك، والشافعي، وأبي حنيفة، والأشعري، وابن تيمية، والـذهبي، دون أهـل البيـت، فهـو بـلا شكّ قد اعتمدَ على علومٍ لم يَضمن الله تعالى بقاءها مع الحقّ إلى ورود الحوض، فالحقّ هـو

مع من تمسّك بعلوم العلماء الفاطميين الذين لم يُخالفوا علوم أسلافهم وإجماعاتهم، وسَعوا لإحياءهـا، وبـثّ روح الحيـاة فيهـا، بتعليمهـا للنـاس، ونشرهـا ابتغـاء الأجـر مـن الله جلّ جلاله .

نعم ! فهذه هي الطّائفة التي لـن تُخـالف الحـقّ أخـي الجعفـري (المُعـترِض)، والتـي يَصدق عليها حديث الثقلين، والسفينة، والنجوم، وهذا القَول لا غُلـوّ فيـه، ولا تفـريط، وإنّما الغلوّ حقّا والإفراط هُو أن يحثّنا الرّسول ﷺ بالتمسّك بأسماء وأعداد محـدّدة مـن الذريّة الفاطميّة ثمّ لا نستطيع الوصولَ إليها، فيكون الرّسول قد وصّانا بالتمسّك بسرابٍ بقيعة، كما تقّدم بيانه مُفصّلاً في الجواب على الإشكال الأوّل، **نعـم !** كـما أنّ الإفـراط كـلّ الإفراط هُو ما ذهبَت إليه الجعفرية مـن الجـرح والقَـدح في سـواد سـادات أبنـاء الحسـن والحسين المُتقدّمين، عيسى بن زيد بن علي، وعبد الله المحض شيخ الفـواطم، ومحمـد بـن عبد الله النفس الزكيّة من اعتقد كثيرٌ من أهل الإسلام أنّه مهديّ هذه الأمّة لِما ظهـرَ عليـه من سمات الفضل والعِلم، ولمّا طابقَ اسمه اسـم الرّسـول ﷺ، واسـمُ أبيـه اسـم أبي الرّسول ﷺ، وقدحوا على يحيى بن عبد الله المحض، وقدحوا على الحسن بـن الحسـن بن الحسن، وقدحوا على محمد بن جعفر الصّادق، وشكّكوا في نزاهَة ثورات بنـي الحسـن والحسين، وجعلوها لأجل الدّنيا حسداً لإمامة بني عمومتهم الاثني عشر !!، وهـذا كلّـه قد صدرَ (بالدليل) من الجعفرية، بما أثبتتهُ رواياتهم عن المعصومين، بتفاوتٍ بين التصريح والتلميح في أوجهِ هذا القدح، روى الصفّار في بصائر الدرجات، رواية تكلّم فيها الإمـام الصادق (ع) عن بعض الصحف التي عندهم كالجفر والجامعة ومصحف فاطمة، وأثنـاء حديثه، قال له عبد الله بن أبي يعفور مُتسائلاً: «أصلحَك الله، فَيعرِف هـذا بنـو الحسَـن؟! قال: أي والله !! كمَا يُعرَف الليل أنّه لَيل، والنّهار أنه نهَار، ولكن يَحمِلهُـم الحسَـدُ وطلـبُ الدّنيا، ولَو طلبوا الحقّ لكانَ خَيراً لهُـم» [بصـائر الـدرجات:١٧١]، فهـذه الشـهادة مـن طريق الجعفرية على أولئكَ السّادة التي كادَت أن تُجمـعَ الأمّـة (إن لم تكـنُ أجمعَـت) عـلى

حُسن مذاهبِهم وطرائقهم، وإن كانوا يُجملونَ هذا المديحَ في حقّهم، دون استعراض عقائدهم والبحث عنها، لأنّ في البحث عن عقائدهم وربط حالهم بحال أسلافهم ترجيحٌ وإظهارٌ لمذهب الزيدية المَرْضيّة أعلى الله سنامَ دَعوتِها، **نعم !** فهذا من الجعفرية إفراطٌ وغلوّ، كما أنّ الزيدية في نظرتها إلى حديث الثقلين (ومَن هُم الذين تصدُق عليهم مصاديق هذا الأثر)، لم تُفرِّط أيضاً في دلالة هذا الخبر كما فرّط أصحاب الفرقَة السنيّة من المسلمين، عندما لم يلتفتوا إلى رجال أهل البيت ولا إلى عُلمائهم، وقدّموا آراء غيرهِم عليهِم، وهذا تفريطٌ وتساهل في القول، وقول الجعفرية إفراطٌ وغلوّ فيه، وقولُنا بحمد الله ليسَ يُخالف العقل، وليسَ فيه إفراطٌ جعلنَا نُخصّص الحجيّة والتبعيّة لحديث الثقلين في أعدادٍ معدودة محدودة لم يثبُت فيها نصّ، ولم يَثبت من واقعنا الملموس أنّ المكلّف يستطيع التمسّك بهم، لتشددّ السآبقين (أئمة الجعفرية قبل عصر الغيبة) في التكتّم وعدم القيام بواجب الهداية للنّاس حتّى على أصحابهِم المُقرّبين كهشام بن سالم ومؤمن الطّاق الحائرَين بعد أبي عبد الله الصادق (ع)، وكذلك المكلّف لا يستطيع التمسّك بإمام الثاني عشر الغائب (عصر الغيبة) لعدم وجوده، ولعدم قيامه بالدّعوة، فيصبحُ حديث الثّقلين الدّال على التمسّك بأهل البيت على شرط الجعفرية يتكلّم عن نظريات وهميّة خياليّة لا يُهتدَى إلى طرف نجاةٍ من خلالها، والجعفرية أنفُسَهم قد أدركوا هذا الخلل، فرووا روايات عجيبة مفادها أنّ تمسّك النّاس في عصر الغيبة، يكون تمسّكا بالفقهاء والمراجع ورواة أحاديث أهل البيت ؟!، الله ورسوله يقولون تمسكّوا بعلماء أهل البيت ورجالِهم الدّاعين إلى الكتاب والسنّة، والمُحيين لعلوم وإجماعات آبائهم وأسلافهم الفاطميين الحسنيين منهم والحسينيين، والجعفرية يقولون تمسّكوا بفقهاء وعلماء ورواة حديث المذهب الجعفري، كالكليني، والصفّار، والشيخ المفيد، والشيخ الصدوق، والسيد الخوئي، والخميني، والخامئني، وأمثالهم، وصدقَ عالمُ أهل البيت ، الحسين بن يحيى الحوثي الحسني الأصل، المُجتهد بالليل والنّهار لنشر علوم أهل البيت، وإقامَة الحجّة قدر

المُستطاع لطالبيها، صدقَ عندما قال فِي رسالة وجّهها لطالب حقّ عراقـيٍّ وآخَـرَ إفريقـي سألا عن بعض المَسائل الدينية، فأجابَهُم جواب العـالم المحمـديّ المُسـتنير بنـور الكتـاب العزيز، وهدي الرّسول الكريم، وإجماع آبائه وسلفه من الفواطم الكـرام، فقـال رضـوان الله عليه مُتكلّما عن الجعفرية: «وأمّا اعتمَادُهم على الباقر والصّـادق والرّضـا والكَـاظم – عليهِمُ السّـلام – فَهو ذَهابٌ إلى سَراب بَقيعَـة، لأنّهـم لا يَـروون عـنهم إلا بَوسـائطَ مِـن أسْلافِهم ليسَ فيهم أحَدٌ مِن أولاد النبي ﷺ، وإنّمَا اعتمَادُهم فِي الحقيقة على هشام بـن الحكَم، وهشام بن سَالم، وصَـاحب الطّـاق، ثـمّ عـلى الطَّـبَرسِي، والطـوسِي، والكلينـي، والمُفيد، فَهؤلاء فِي الحقيقة عِندَهُم سَفينةُ نوح، يَدورونَ مَعهم أينمَا دَارُوا ، وأولادُ الحَسنين عنهَا فِي مَعزل» . [الجواب الكاشف للالتباس عن مَسائل الإفريقي إلياس، ويليه الجواب الراقي عن مَسائل العِراقي] . وبهذا وبالصلاة على سيدنا محمد وآلـه الطيبـين الطـاهرين، نختم الكلام على هذا الاعتراض .

[القسم الثالث: مُناقشَة بعض ما جاء في المبحث السابق حول اصطفاء الله تعالى لأهل البيت من القرآن الكريم]:

إن قيل: قد تكلمّتم عن قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾، وأثبتّم أنّ الاصطفاء يدخلُ فيه جميع ذرية الحسن والحسين (ولد فاطمة)، ونحنُ نُعقّب حول الآية الأصل، ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾، فنقول أخبرونا إلى مَن يَعودُ الضمير في الآية ﴿ فَمِنْهُمْ﴾، ﴿ وَمِنْهُم ﴾، ﴿ وَمِنْهُم﴾، هَل يَعودُ إلى كلمة ﴿ عِبَادِنَا﴾، أم يعودُ إلى ﴿ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ .

قُلنا: الضمير في قول تعالى ﴿ فَمِنْهُمْ﴾، ﴿ وَمِنْهُم﴾ في الآيَة، يَعودُ على قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾، ولا يَعودُ على ﴿ عِبَادِنَا﴾، لأنّ العباد في الآية هُم جميعُ المُسلمين، فيكون المعنى للآية: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾، بمعنى جعلَنا فهمه والحقّ فيه وراثةً لا يَخرجُ عن طائفة من النّاس، وهُم الذينَ اصطفيناهُم واخترناهُم من (تبعيضيّة) المُسلمين، والله ورسولهُ ﷺ قد اختاروا ذريّة إبراهيم، الذين هم أهل البيت ولد فاطمة في عهد محمد ﷺ، قد اختارهُم الله من بين جميع العباد المُسلمين، ثمّ أخبرَ الله تعالى أنَّ مِن هؤلاء العباد المُصطَفين لتأديَة الأمانة (التي هي القيام بدور الهداية والدّعوة والقيادَة)، أنّ منهُم (مَن هُو ظالمٌ لنفسِه إمّا بالمعاصي، وإمّا باقتفاء غير طريق المقتصدين، والسّابقين بالخيرات من سادات بني الحسن والحسين، وعدم الالتزام بإجماعاتهم، فيتمذهب بمذاهب وأقوال وآراء الرجال دون مذهب آبائه من الفاطميين، فهذا ظالمٌ لنفسه، وإنّما قال الله تعالى عنهُ ظالمٌ لنفسِه، لأنّه فعلاً ظلمَ نفسَهُ حظّها وذلكَ أنّ الله جعلَهُ من عائلةٍ

فاطميّة لها شرف الهداية والدّعوة والتبليغ، ولها الأجر الجزيل على ذلك، ثـمّ هُـو لم يُقـدّر هذه النّعمة فعصى الله تعالى وارتكب المحرّمات، أو دَعا إلى الله تعالى بما يُخالفُ إجماع آبائـه وسلفه، دعا الله تعالى إلى مذاهب الرّجال مُقدّما قولَهم على قـولِ سـلفه مـن سـادات بنـي الحسن والحسـين)، **نعـم !** ثـمّ أخـبرَ الله تعـالى أنّ مـن هـذه الذريّـة الفاطميّـة المُصـطفاة «مُقتصدين»، والمُقتصدون هؤلاء هُم العُلماء، أهل الأصول، والفقه، والحـديث مـن بنـي فاطمة، هُم مَن كانَ دورُهم الدّعوي أقلّ مـن دورِ السّـابقين، هُـم المجتهـدون في العبـادة والنسّاكة والزّهد والتدريس والتفهيم لطلاب العِلـم، وهـؤلاء المُقتصـدون في الآيَـة هُـم ممدوحون قطعاً، لأنّهم مُنتهجون بنهج الكتاب، مُستعينون عـلى تأويلـه وتـدبّره بصـحيح السنّة، ومُلتزمون بإجماعـات سـلفهم مـن بنـي فاطمـة سـادات بنـي الحسـن والحسـين، وسـاعون في نشرـه وتدريسـه قـد المُسـتطاع، كـما مِـن أبـرَز صـفاتهم التسـليم والانقيـاد والاجتهاد في إجابَة الدّاعي إلى الله تعالى، إجابة الإمـام الفـاطميّ القـائم بـالجهر بالـدّعوة والذي توفّرت فيه شروط الكمال من العلم والشـجاعة والتـدبير ومثيلاتهـا مـن صـفات الفضل، ومثالٌ على المُقتصدين الحسين بن زيد بن علي (ع)، فهو عـالمٌ ينشرُـ مـذهب أهـل بيته قدر استطاعته، مُبايعٌ مُعاضِدُ للإمام القائم من بني الحسن والحسـين، إذ بـايعَ الإمـام النفس الزكيّة محمد بن عبد الله ﷺ عندما قام ودعا إلى نفسـه بالإمامـة، فالمُقتصـدُ مـن أهل البيت (ذرية الحسن والحسين)، هو العالمُ، العابدُ، المُعاضـدُ والمُبـايعُ والمُعـين للإمـام القائم الدّاعي إلى الله من ذرية الحسن والحسين، ومنزلته أقلّ من منزلة السّـابق بـالخيرات، إلاّ أنّ لهُ دوراً كبيراً في الدّعوة والتدريس والتأليف والسّفر لنشر علوم أهل البيـت سـلفه الفاطمي صاحب الإجماع المعصوم)، **نعم !** ثمّ أخبرَ الله تعالى أنّ من هذه الذريّة المُصـطفاة «سابقين بالخيرات»، والسّابقون بالخيرات، هُم المُجتهدون في العبادة والنّسـاكة، والزّهـد، والـورَع، وتحصـيل علـوم وإجماعـات أسـلافهم مـن آل رسـول الله ﷺ، ممّـا يحتاجـهُ المكلّفون من أمّة جدهم ﷺ، فإذا أحسّ من نفسه هذا الفاطمي أنّها قد لَزمتهُ الحجّة إن

لم يَدعُ ويَقُم بواجب الهداية التي ابتلاهُم الله بها، وجعلَ ثوابَها التفضيلَ والاصطفاء والأجر الجزيل في الآخرة، متى ما أحسّ الفاطمي بلزوم الحجّة له، فإنّه يقوم ويَدعو، فيجتمعُ عليه رجالات الحلّ والعقد وعلى رأسهِم المُقتصدون العُلماء من بني فاطمة، والعُلماء من الشيعة الأخيار، فمتى وجدوا هذا القائم الدّاعي كُفؤاً لزِمهُم طاعتهُ وإجابة دَعوته، ولهُم مسألتُه واختبارهُ وامتحانُ علمه، وهُم لاشكّ سيعرفونَ حاله من واقع المُعايشَة من ناحية الشجاعة، فمتى وجدوه كُفأً وجب طاعته والائتمار بأمره، وهذا هو عين قول أمير المؤمنين (ع): «أيّها النَّاسُ، إنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ، فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ اسْتُعْتِبَ، فَإِنْ أَبَى قُوتِلَ. وَلَعَمْرِي، لَئِنْ كَانَتِ الْإِمَامَةُ لاَ تَنْعَقِدُ (تأمّل) حَتَّى يَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ، فَمَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ، وَلكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا، ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ، وَلاَ لِلغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ» [نهج البلاغة خ١٧٣] »، **نعم !** فهذا هُو معنى الآية باختصارٍ وتطويل، فالظالمُ لنفسه هو الحسني أو الحسيني المُرتكب للمعاصي، أو حتّى العالم أو الفقيه الذي انتهجَ غير منهج آبائه، وعكف يُعلّمُ علوماً تنقضُ على علوم آبائه وإجماعاتهم . والمُقتصدُ: هو العالمُ الحسني الحسيني الذي سعى جهده في نشر علوم آبائه، وهو مُعاضدٌ للإمام القائم الدّاعي إلى الله بنشر الدّعوة والجهر بها من بني الحسن أو الحسين. والسّابق بالخيرات: فهو الإمام من بني فاطمة القائم بسيفه (أي القائم بنشر الدّعوة)، مُجاهداً آمراً بالمعروف، وناهياً عن المنكر، مُتقيّدا كما بيّنا بكتاب الله وسنّة نبيّه وإجماعات سلفه، فهذا دوره في الهداية وتبليغ رسالة جدّه الرّسول ﷺ، أكبر من دور المُقتصِد، والنّاس مأمورون بالتمسّك بهؤلاء الصّالحين الفاطميين، والحمد لله تعالى .

إن قيل: فلِمَ مَنعتُم أن يكون الضّمير في آية فاطر: ﴿ **فَمِنْهُمْ**﴾، عائداً على ﴿ **عِبَادِنَا**﴾ .
قُلنا: مَنعنا منهُ سياق الآية، وبلاغَة القرآن، وهو واضحٌ ظاهرٌ لمن لم يتكلّف وقد تقدّم وجهُ الدلالة والإلزام للجعفرية على لسان أئمتهم من أنّ الضمائر تعودُ على المُصطفين،

وإنّما ذُكرَت ﴿عِبَادِنَا﴾ لتبعيض الذريّة المُصطفاة من عامّة النّاس .

إن قيل: سلّمنا لكم أنّ الاصطفاء عامّ في جميع الذريّة الفاطمية، ولكنّ الإمام عقلاً لن يَكون من أي هذه الطوائف الثلاث (الظالم لنفسها) و (المقتصدة) و (السّابقة بـالخيرات)، ولا يمكن أن يكون إلاّ من الطائفة الأخيرة لأنّهم أفضلُهم وأعلَمُهُم، فيكون السّابق بالخيرات هو الوارث الوحيد للكتاب، وهو قولُ الإماميّة .

قُلنا: ونحنُ نقولُ كذلك، من أنّ السّابقين بالخيرات هم أصحاب الدّرجات العُلى، فهم المُجاهدون القائمون النّاهون عن المُنكر، والآمرون بالمعروف، قال الله تعالى: ﴿ **فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [النساء:٩٥]، والمُقتصدون فعُلماء قاعدون، والسّابقون بالخيرات عُلماء قائمون مُجاهدون، ففضل المُجاهدين على القاعدين أكبر بنصّ الكتاب العزيز، ولكنّا لا نَدري ما وجه الرّبط بين تفضيل السّابقين بالخيرات على المُقتصدين والظّالمين، وجعلكم هذا التفضيل دليلاً على صحّة قولُكم، ثمّ أنتُم بعدَ هذا تربطونَ وراثَة الكتاب بالسّابق بالخيرات وحدَه، هل تَريدون أن تقولوا: أنّ اصطفاء الله لجميع بني فاطمة هُو اصطفاءٌ أوّلي، ثمّ إن الله تعالى اصطفى من هؤلاء المُصطفين (ذرية فاطمة) اصطفى تسعةً لمرتبَة السّبق بالخيرات ووراثَة الكتاب، فيكونُ اصطفاءً داخل اصطفاء، فإن قُلتُم بهذا فقولُكم ناتجٌ عن عَدم معرفة معنى توريث الله الكتاب، فتوريث الكتاب لجماعة بني فاطمة يعني توريث الحقّ الذي فيه بحيث لا يخرجُ من دائرتهم، يعني أنّ ضالّهَم يضلّ ولا يضلّون كُلّهم، فالحقّ سيبقى منهم وفيهم إلى قيام السّاعة، قال الإمام زيد بن علي (ع)، وقد سُئلَ عن اختلاف أهل بيته: «وكَتبتَ تَسألني عن أهل بيتي وعن اختلافِهم، فاعلم يَرحمُك اللهّ تعالى أنّ أهل بيتي فِيهم المُصيب وفيهم المُخطيء [والمخطئ هو الظّالم لنفسه كما مرّ معنا]، غير أنه لا تكُون هُداة الأمّة إلا مِنهُم، فلا يَصرِفك عنهُمُ الجاهِلون، ولا يُزهدك فيهم الذي لا يَعلمُون، وإذا رَأيت الرّجل مُنصرِفاً عن هَدِينا [

يعني عن إجمَاعِنا ودُعاتِنا]، زاهداً في علمنا، راغباً عن مَودتنا، فقد ضلّ ولا شكّ عن الحق، وهُو مِن المبطلين الضالين، وإذا ضلّ النّاس عن الحق، لم تكن الهُداة إلاّ مِنا، فَهذا قولي يَرحمُك اللهّ تعالى فِي أهل بَيتي» [مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي: الرسالة المَدنيّة]، فوجود الحقّ من إرث من بني فاطمة، فالرّجل إذا ورِثَ شيئاً تملّكَه، وجماعَة بنو فاطمة هُم دائرةُ الحقّ لا يَخرجُ عنهُم، فهذا هُو توريث الكتاب في الآيَة، هُو توريث الحقّ، وتوريث الحقّ هُو المنهج المحمدي القويم في فهم الكتاب والسنّة وتطبيقهما، هذا ما كانَ من الخلل الأوّل الذي قد يفهمُ منه المُخالف معنى التوريث بمعنىً آخَرَ غير وارِد، والمعنى الثّاني الذي قد يفهم من خلاله المخالِف معنى التوريث للكتاب هُو أن يظنّ أنّ توريث الكتاب مُلازمٌ للنصّ على الأشخاص المحدودين المعدودين، كقول القائل: أورثتُ زيداً المال، فأنا بهذا قد حدّدت ونصصتُ على زيدٍ بعينه ورسمِه، ونحنُ نقولُ إنّ الأمرَ ليسَ كما ذهبتُم إليه، وعندنا أنّه الأمر الذي جعلَكُم تقولون بالاصطفاء العام لجميع الذرية، ثمّ بالاصطفاء الخاصّ للتسعة من الذريّة وجعلتموهم هم السابقون بالخيرات فقط، **نعم !** فالأمر ليسَ كما ذهبتُم إليه، والمثالُ الذي ضربتموهُ مثالٌ ضيّق الأفق ليسَ يتماشى مع صيغة خطاب آيَة فاطر في توريث الكتاب لجميع المُصطفين (لا تسعةٍ منهُم فقط)، فنحنُ نستطيعُ أن نقول: أورثَ المَلِكُ المُلك لعائلته، فهل هذا يعني أنّ هُناك أشخاصٌ مُحدّدون معدودون مُسمَّون من هذه العائلة للحصول على المُلك ؟! أم الوصيّة بالمُلك شاملةٌ للجميع ؟! فهذا يرحمُكَ الله تعالى هُو وجهُ قول الله تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ** ﴾، فالله جلّ جلاله يُخبرُ أنّ توريث الكتاب، بمعني توريث الحقّ هُو للذريّة المُصطفاة، للذرية الفاطمية الحسنية الحسينية، فاقتفوا أثرَ الحقّ أيّها النّاس عند هذه الذريّة فإنّكم لن تجدوا الحقّ خارجٌ منهم وعنهم، يضلّ ضالّهم، ولن (تفيد النفي والتأبيد والضّمان الإلهي) يضلّوا كُلّهم، فعُلمائهُم (المقتصدون أو السّابقون بالخيرات) موجودون

إلى يوم القيامة، بين ظهرانيكم يعيشون ويأكلون ويشربون، ومنه اعلم هدانَا الله وإيّاك أنّ هؤلاء الظّالمين لأنفسهِم من بني فاطمة، قد كانوا يستطيعون أن يكون من طائفة السّابقين للخيرات لو أنّهم عملوا بالتكليف الإلهي المُلقى على عواتقِهم، ونظروا كتاب الله وتدبّروه وتأملوه، وإلى سنّة رسول الله ﷺ وإلى ما أشارَت ونبّهت عَليه، ثم تأمّلوا سيرة وعقائد آبائهم، نعم ! لو أنّهم عَملوا بواجب التكليف لوصلُوا إلى ما وصلَ إليه المُقتصدون الفاطميون، ولوصلوا إلى ما وصلَ إليه السّابقون بالخيرات، وكذلك الحال مع المُقتصدين لو أنّهم زادوا في التحصيل لعلوم الكتاب والسنة وعلوم السلف الفاطمي الحسني الحسيني، وتحركّوا إلى ميادين الجهاد، ودَعوا لكان على النّاس إجابَتهم في دعواتهم العادلَة، فمرتبَة السّبق بالخيرات ليس مُخصّصة لطائفة حسنية أو حسينية محدّدة معدودة، بتسعة أو عشرة أو اثني عشر، أو مائة، أو مليون، فهي مرتبةٌ يستحقّها كلّ مَن انطبقَت عليها معايير المُتابعَة الحقّة، للكتاب، والسنّة، والتمسّك بالإجماع الفاطمي المعصوم، والاجتهاد في تطبيقها جميعاً، ألا ترى أخي في الله أنّ الإمام بعد يحيى بن زيد بن علي الحسيني الأصل، هُو محمد بن عبد الله النفس الزكية الحسني الأصل، فمرتبة السّبق بالخيرات ليسَت حِكراً على نسلٍ دون نسل، أو عددٍ دون العدد الآخَر، وتوريث الكتاب لا يَعني التخصيص بالاسم والعدد، بحيث يُفهم أنّ ورثَة الكتاب الحقيقيين من هذه الذرية الفاطمية هُم أناس مخصوصون محدودون معدودون، فهذا وهمٌ ظاهرُ العَوار، نتيجتهُ عَدم فهم معنى التوريث للكتاب، فالتوريث للكتاب هو حصرُ الحقّ في طائفةٍ مُصطفاة عموماً، وهم ذرية الحسن والحسين، وتكليف الله تعالى وابتلاءهُ للعباد لم يَجعلهُ يُخصّص أفراداً من هذه الذرية بالاسم والعدد لمنصب الإمامة، إذ جعلَ التكليف موزّعاً على الطائفتين من العِباد، الطائفة المُصطفاة (الذرية الفاطمية)، والطائفة غير المُصطفاة (عامّة العباد)، فأمّا تكليف الله وابتلاؤهُ لبني فاطمة فهو في الأمانة التي ألقاها على عواتقِهم، عندما جعلَ مُهمّتهم هُو الاجتهادُ في الوصول إلى مراتب مُتقدّمة من العلم

والفهم والعزم على إمضاء أحكام الكتاب والسنّة وتطبيق ونشر إجماعات أسلافهم من بني فاطمة، ومدّ حبلَ الله (حَبل الهِدايَة والحقّ إلى النّاس)، وأمّا تكليف الله وابتلاءه لغير الفاطميين الطائفة غير المُصطفاة، فهو بذل الجهد في إصابة الكتاب والسنّة والانضواء تحَت مَن لن يَخرُجَ الحقّ عنهم، مَنْ ركوب سفينتهم نجاةٌ وراحةُ بال (فيمدّون أيديَهم للقبضِ على الحبل الذي يُمدّه السّابقون بالخيرات والمُقتصدون من بني فاطمة)، فهذه مُعادَلة إلهيّة فيها من الرّحمة على المُكلّفين الشيء العظيم، عُلماء بني فاطمة (حسنيين أو حُسينيين) يمدّوا إلى النّاس حبلَ الهداية، والّناس ما عليهِم إلاّ أن يجتهدوا في مد يدهم بالبحث والتفتيش لإمساك طرف حبل الهداية، ثمّ بعد هذا كلّه الرّكوب في سفينة النجاة، إلى برّ وشطّ الراحة والنعيم، نعم ! وهذه المعادلة الإلهية التي يظهرُ فيها اللطف الإلهي على العباد ملموساً واضحاً على مذهب الجعفرية غير موجودة، لأنّ النّاس يَجتهدونَ في البحث والتفتيش والتنقيب مادّين أيديهِم للإمساك بحبل نجاة اثني عشريّ، مادّين أيديهِم باحثين عن السّابقين بالخيرات الذين حَصرتهُم الإمامية في اثني عشر رجلاً على حدّ قولهِم، فلا يجدونَ حبلاً ممدوداً يُنقذهم ويُركبُهم في سفينة نوحٍ المُنجيَة، فينحرفون باحثين عن الرّحمة الإلهية، واللطف الرّباني في اتجاهاتٍ أخرى فيكونون قد ضلّوا على شرط الجعفريّة !!!، والله المُستعان . نعم ! **تنبيه مهم**: نحنُ هُنا قد ناقشَنا أصل صحّة قول الجعفريّة بأنّه قد يكون هُناك اصطفاء عام لجميع بني فاطمة، ثمّ يكون هُناك اصطفاء خاصّ لتسعة من ذرية الحسين هُم السّابقون بالخيرات فقط، وهذا وهمٌ بيّنا شنارَه وعارَه، وأنّه إنّما نبع مِن ربطهِم بين توريث الكتاب، وبين التخصيص على أسماء وأعداد لهذه الوراثَة !!، نعم الذي نُريدُ أن نُنبّه عليه أنّ الجعفرية أصلاً لا تعترف بأنّ بني فاطمة (جميع الذرية الحسنية والحسينية) مُصطفاةٌ أصلاً، لا اصطفاءً عامّاً، ولا اصطفاءً خاصّاً، فقولُ المُعترِض بالاصطفاء الخاصّ للتسعة، من داخل الاصطفاء العام لجميع الذريّة، هو قولٌ حادثٌ ناجمٌ جديد وليد السّاعة والدقيقة (لم نرَ أصلَه فيما قرأنا من كتب الجعفرية)، وعندنا أنّ

المُعترِض لم يضطرّ إلى القول بالاصطفائَين إلاّ عندما بانَ لـه أنّ آيـة فـاطر سـتهدمُ مذهبَـهُ رأساً على عقب، ابتداءً من النّص الاثني عشري، ومروراً بالعصمة، وانتهاءً بالغيبة، فلجـأ إلى القول أنّ هُناك اصطفاء عام وخاص، العام يـدخُل فيـه الظّـالمون لأنفسـهِم مـن بنـي الحسن والحسين، ويَدخُل فيه المُقتصدون من بني الحسن والحسين، والاصطفاء الخاصّ لا يَدخُل فيه إلاّ اثنا عشرَ رجلاً، والله المُستعان، ولسـنا نعلـمُ لهـم عـلى كلامهِـم هـذا دلـيلاً واحداً يُؤيّد قولَهُم إلاّ ما رَووه في كُتبهِم من النّص على الاثني عشر بالاسم والعـدد، فـإذا قُلنا لهم مَن رواهُ غـيركُم كـما رويتمـوهُ أنـتم (بالاسـم والعـدد)، قـالوا: رواه القنـدوزي الحنفي، ورواه الكجي الشافعي، قُلنا ونحنُ كذلك روى الحـاكم الحُسـكاني الحنفـي عـن الإمام زين العابدين (ع) أن الإمامة لا تكـون إلاّ في مَـن خـرجَ ودَعـا مـن ذريـة الحسـن والحسين، وجاء في نهج البلاغَة أنّ طريق الإمامـة (السّـبق بـالخيرات) لـيسَ الـنّص، بـل الدّعوة والشّورى، فقال بما قد عدناهُ مراراً وتكراراً في هذه الرسالة: «أيّها النَّاسُ، إنَّ أَحَـقَّ النَّاسِ بِهذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّـهِ فِيهِ، فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ اسْـتُعْتِبَ، فَـإِنْ أَبَى قُوتِلَ. وَلَعَمْرِي، لَئِنْ كَانَتِ الْإِمَامَةُ لاَ تَنْعَقِدُ (تأمّل) حَتَّى يَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ، فَمَا إِلَى ذلِكَ سَبِيلٌ، وَلكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا، ثُـمَّ لَـيْسَ لِلشَّـاهِدِ أَنْ يَرْجِـعَ، وَلاَ لِلغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ» [نهج البلاغة خ١٧٣]، وروى ثِقة الجعفريّة محمد بن يعقوب الكُلينـي، ما يشهدُ لقولَ الزيديّة في طريق الإمامَة وأنّها لا تكون إلاّ بالـدّعوة: «عَـنْ جَـابِر، عَـن أبي جَعفَر عليه السلام، قال: قَال: لَمَا نَزَلَت هَذِه الآيَة: «يَوْمَ نَدْعُو كُلّ أنَـاسٍ بِإمَـامِهِم»، قَـالَ المُسلمون: يَا رَسُولَ الله، أَلَسْتَ إمَامَ النّاسِ كُلّهم أجْمَعين؟ قَال: فَقَالَ رسـول الله ﷺ: أَنَا رَسُول الله إلى النّاس أجْمَعِين، وَلكِنْ سَيَكُونُ مِنْ بَعْدِي أئمّةٌ عَلى النّاسِ مِنْ الله مِنْ أهْـل بَيتِي، يَقُومُون فِي النّاس فَيُكَـذَّبُون، وَيَظْلِمُهُـم أئمـّةُ الكُفْـر وَالضّـلال وأشْـيَاعَهُم، فَمَـنْ وَالاهُم، واتّبَعَهُم وَصَدّقَهُم فَهُو مِنّي وَمَعِي وسَيَلْقَانِي، ألا وَمَـنْ ظَلَمَهُـم وَكَـذَّبَهُم فَلـيسَ مِنّي وَلا مَعِي وأنَا مِنهُ بَرِئ» [أصول الكافي:١/ ٢١٥]، نقول: وهذا الحَديث فيشهَدُ لقول

الزّيديّة، فالأئمّة منهُم بنصّ الله العامّ فيهِم، فهُم أئمّةٌ مِنَ الله، والأئمّة عند الزيدية فمِن أهل البيت، وسبقَ أنّ أهل البيت، لَفظَةٌ يَدخُل تحتها جميع ولد فاطمة، أبناء الحسن والحسين، وأئمّة الزيدية هُم القائمونَ في النّاس، والقيامُ فيُرادفُ الدّعوة الفاطميّة بالإمامَة، وأئمّة الزيديّة فكَذّبت النّاس دَعواتهم، وتخاذلوا عنهُم، وظَلَمهُم أئمّة الكُفر (سلاطين الجور)، فَقتّلوهُم، وشَرّدوهُم، وأَسَروهُم، والله المُستعان، وهذا الخبَر فلا ينطبقُ وجهه على أئمة الجعفرية التسعة، لأنّا لم نعلمَ إماماً من أئمتهم التسعة قامَ ودَعا النّاس إلى إمامة نفسِه، وإلى موالاة الاثني عشر، ثمّ بعد هذه الدّعوة الجامعة الشاملَة، كذّبهم النّاس وظلموهُم، فمصداقُها في الزيدية أظهرُ منه في قول الجعفرية، وهُو ينفي ما ذهبتم إليه من تخصيص الاصطفاء العام باصطفاء خاصّ لتسعة فقط، صحيحٌ أنّ هُناك نماذج في السير للأمم السّابقة لحصول اصطفاءات عامّة، خُصصّت باصطفاءات خاصّة، ولكنّ الدليل هُو الذي يُخصِّص، وأنتُم فليسَ معكم على تخصيصكُم بالاصطفاء الخاصّ من العام أي دليل، سوى أوهام ظنيّة غير قطعيّة انفردتُم بها، نعم!، ثمّ بماذا ستعترضونَ على الإسماعيلية من الشيعة إذا قالت إنّ الاصطفاء الخاصّ إنّما هُو يخصّ أئمتهم دون أئمتكم التسعة ؟!، نحنُ والعُقلاء نقول إنّ الله سبحانه وتعالى قد أخبرَ في كتابه عن أصولٍ أصيلَة في دين الله تعالى، والسنّة شرحَت وفسّرتَ، والإمامة عندنا وعندكُم يُحال أن يَخلو كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ من الإشارَة إليها بنصّ واضحٍ صريح، أو بنصٍّ يحتاجُ إلى التأويل الظّاهِر ، والله سبحانه وتعالى لم يَذكُر إلاّ قول الزيدية، القائلة بأنّ الإمامة من حقّ جميع أهل الاصطفاء، بشرط الله تعالى، وهو الصّلاح ﴿ **لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾، ثمّ أنتُم زِدتُم على هذا وقسّمتم اصطفاء الله الذي أثبتَهُ في كتابه إلى اصطفائين اثنين من غير دليلٍ ولا حجّة من آيةٍ أخرى، أومن قولِ للرسولِ الكريم ﷺ مُتفق عليه، وخبرُكم الذي انفردتم به حول الاثني عشر وأنّهم أهل الاصطفاء الخاصّ، الإسماعيليّة سيُجاذبونكُم الاصطفاء الخاصّ هذا ويقولون إن مصداقه في الأحاديث التي رَووها عن الرّسول في

أئمتهم من ذرية إسماعيل بن جعفر الصّادق (ع)، فقاعدةُ الاصطفاء الخاصّ التي استحدثتمُوها ذاتُ قاعدةٍ هشّة، نكادُ نجزمُ، بل نَجزمُ أنّ سادات بني فاطمة من أبناء الحسن والحسين في أزمانهم المُتقدّمة لم يكونوا يعرفونَ شيئاً عنها بتاتاً وإطلاقاً، والمؤكّد أنّهم كانوا يعرفون جميعاً أنّهم ذريّةٌ محمديّةٌ علويّةٌ فاطميّةٌ حسنيّةٌ وحسينيّةٌ اختصّها الله بالتفضيل، فحرّم عليهم الصدقَة، وجعلَ لهم الأخماس، وخصّهم بإرث فدك (هديّة الله) حتى كان خلفاء الدّول ما يُعيدونَها إلا إلى بني فاطمة بعموم، دون بني علي (من غير فاطمة، وفي هذا تأمّل)، وخصّهم بآية المودّة والمحبّة لأجل القُربى من الرّسول ﷺ، فكافأ الله من دسّ ووضعَ ما يُفرّق بين الفاطميين، بالزور والبهتان، قال الإمام نجم آل الرّسول القاسم بن إبراهيم الرسي (ع)، (١٦٩-٢٤٦هـ) وهُو المُعاصرُ لموسى الكاظم ولعلي بن موسى الرّضا ولأكابر سادات بن الحسن والحسين، قال (ع) مُتوجّعاً ممّا يراهُ ويَسمعهُ في بدايات القرن الثالث (بداية المائتين هجرية تقريباً) من الشيعة الجعفرية والإسماعيلية بعموم، وكان يتكلم (ع) عن المتعة بالتحديد، فقال: «ولَقَد أدْرَكْنَا مَشَايخنَا مِن أهلِ البيت، ومَا يَرَى هذا مِنهُم أحَد، حَتّى كَانَ بِآخرِه أحدَاثٌ سُفهَاء، رَوَوا الزّور والكَذِب» [أمالي الإمام أحمد بن عيسى بن زيد]، يُريدُ أنّهم رووها (المتعة) عن سادات بني الحسين (ع) زوراً وبهتاناً، بل حتّى الإمام موسى الكاظم (ع) تبرأ أمام رَجُل من شيعته ابتداءً منه (ع) بالكلام (وهذا ينفي التقيّة) في الخبر، تبرّأ مما يُثار حولَهُم من الشيعة الإمامية وغيرهم وما غَالَوا فيهم به من القول، فروى الشيخ المفيد، بالسند، قال: «حدثني محمد بن الزبرقان الدامغاني الشيخ قال: قَال أبو الحسَن مُوسى بن جعفر عليهما السلام: «لمّا أمَرَهُم [أمَرَ حاشِيَته] هارون الرشيد بِحَمِلِي دَخَلتُ عَليه، فَسَلّمتُ، فَلم يَرُدّ السّلام وأريته مُغضَباً، فَرمَى إليّ بِطُومَار . فَقَال: اقرَأهُ . فَإذَا فِيه كَلامٌ قَدْ عَلِمَ الله عزّ وجَلّ بَرَاءَتِي مِنهُ [تأمّل نفيَ الكاظم للكلام الموجود في الطومار، وهُو يُخاطبُ رجلاً من شيعته، الدامغاني، فانظُر ماتبرّأً منه الكاظم]، وَفِيه [أي في الطومار]: أنّ مُوسَى بن جعفر يُجبَى

إليه خَرَاجُ الآفَاق مِنْ غُلاةِ الشّيعةِ مِمّن يَقولُ بإمَامَتِهِ، يَدينُونَ الله بذَلكَ ويَزعُمونَ أنّه فَرضٌ عَليهِم إلى أنْ يَرِثَ الله الأرضَ وَمَنْ عَليهَا، وَيزعُمون أنّه مَنْ لَمْ يُوهِب إليهِ العُشرَ ولَمْ يُصلّ بإمَامَتِهم، ويحُجّ بِإذنِهم، ويُجَاهِدُ بَأمرهِم، وَيحمل الغنيمة إليهم، وَيُفَضّلُ الائمّة على جَمِيع الخَلق، وَيفرض طَاعَتَهُم مِثل طَاعة الله وطاعَة رَسولِه، فَهو كَافِرٌ حَلالٌ مَالُه وَدَمُه، وَفِيه كَلامُ شَنَاعَةٍ (تأمّل)، مِثلُ المتعَةِ بِلا شُهود (تأمّل)، واستحلالُ الفروج بَأمرِه ولَو بِدِرهَم، و البَراءةُ مِنَ السّلف، ويَلعَنون عليهم في صلاتهم، ويَزعمون أنّ مَنْ يَتَبَرّءُ مِنهُم فقَد بَانَتْ امرَأتُه مِنه، ومَنْ أخّرَ الوقْتَ فَلا صَلاةَ لَهُ، لِقول الله تَبَارَك وتعالى: ﴿ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾، يَزعمون أنّه وَادٍ في جهنّم، والكِتَابُ طَويل، وأنَا قَائمٌ أقْرَأ، وَهُو [هارون] سَاكت، فَرَفَعَ رَأسَه وَقَال: قَدْ اكتفَيت بِمَا قَرَأت، فَكَلِّمْ بِحُجّتِكَ بِمَا قَرَأتَه، قُلتُ: يَا أمير المؤمنين والذي بَعَثَ محمّداً ﷺ بالنبوّة، مَا حَمَلَ إليّ قَط أحَد دِرهماً، ولا دِينَاراً مِن طَريقِ الخَراج، لكنّا مَعَاشر آل أبي طالب نَقبَلُ الهديّة التي أحَلّهَا الله عزّ وجل لِنبيّه عليه السلام في قوله: «لو أُهدِيَ إليّ كِراع لَقَبلتُه، ولو دُعيتُ إلى ذراع لأجَبت».... إلخ »، ملاحظَة: وليسَ في آخر الخبر ما ينقُض أوّله . [الاختصاص:٥٤]، وبهذا نختم الكلام على هذه الجُزئيّة .

إن قيل: ثمّ أخبرونا عن قول الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ**﴾، على من تعود الضّمائر في قول تعالى: ﴿ **فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ**﴾، ﴿ **وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾؟! .

قُلنا: الله يحكي في هذه الآيَة أنّه جعلَ النبوّة والكتاب، أي النبّوة والعِلم في ذريّة نوح وإبراهيم، فالأنبياء من بعد عهد نوح (ع) هُم من ذريّته، كما أنّ إبراهيم (ع) من ذريّة نوح، ولعلّ تخصيص إبراهيم بالنبوّة والعِلم في ذريّته هو لدعوة إبراهيم الخليل (ع) لخاصّة ذريّته بجعل الهُدى فيهم، نعم ! حكى الله تعالى أنّه جعل النبوّة والعِلم (الكتاب) في ذريّتي نوح وإبراهيم، وجعلَ الهُدى (الذي هُو العلم) غير خارجٍ عن هذه الذريّة،

فمنهم الأنبياء بالوحي، ومنهُم الأئمة العُلماء حمَلَة الكتاب بالأخذ برسائل الأنبياء وكتبهم ودعواتهم ونشرها بين النّاس، والعمل على هدايتهم، فمِن هذه الذريّة مَن هُو مُهتدٍ وهُم الأنبياء، وحملَة الكتاب مَن جنّدوا أنفسهَم في مُعاضدَة الرّسل والأنبياء، وعملوا على هداية النّاس قدر المُستطاع، ومن هذه الذريّة مَن هُو فاسقٌ ظالمٌ لنفسه لم يُجنّد نفسه للأخذ بالعلم الذي جعله الله ميراثاً لهاتين الذّريتين، ولم يرتقِ به تكليفه إلى أن يُصبحَ إماماً مُسانداً لدعوات الرّسل ناشراً للهداية، بل إن أكثرَهُم فاسقون لاهون مُبتعدون عن نهج الأنبياء والرّسل، **إن قيل**: قد ذهبنا إلى غير ما ذهبتُم إليه، فنحنُ ذهبنا من الآيَة إلى أنّ هُناك أناس مخصوصون للنبوّة، وهُناك أناس مخصوصون لحمل الكتاب وهم الأئمة، وهُم ليسوا مُخاطَبين بشيءٍ من الضمائر في الآيَة، وإنّما خطاب الضمائر يعود على جميع الذريّة عدا الأنبياء، وعدا أصحاب الكتاب (الأئمّة) ؟! **قُلنا**: هذا التأويل لا يُسلّم لكُم، فالضمائر تعودُ على جميع ذريّة نوح وإبراهيم، وقوله تعالى: ﴿ **فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ**﴾، يدخُلُ فيه الأنبياء، وحملَة كُتُب الأنبياء بالمُساندَة في الدّعوة وهُم الأئمة، ويَدخُل فيه المؤمنون الذين ليسوا بُعلماء وليسوا بفسّاق، وقوله تعالى: ﴿ **وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ**﴾ أي وكثيرٌ من هذه الذرية فاسقون مُعادون للأنبياء، وغير مُستمعين لهم، وغير آبهين بحملَة الكتاب والدّعوة (الأئمّة) . نعم ! على أنّ مُفسّري الجعفريّة أصلاً لم يُفرّقوا بين النبوة والكتاب، فجعلوهما واحدا، فقالوا هُم الأنبياء أصحاب الكُتب، انظر مجمع البيان للطبرسي، نعم ! والجديرُ بالذّكر أيضاً هُو التنبيه على أنّ (النبوّة) في الآيَة، كلمةٌ يدخلُ تحتَها جميع الأنبياء والرّسل من ذريّة نوح وإبراهيم، و (الكتاب) في الآية كنايَةٌ عن العِلم والعُلماء، والفرقُ بين الأنبياء والرّسل، وبين الأئمة العُلماء، هُو أنّ اختيار الأنبياء يكونُ بالوحي، بينما العُلماء هُم مَن يرتقونَ بأنفسهِم إلى درجة العِلم، بالأخذ بأقوال الأنبياء، والمُساندة لهم ولدعواتهم، والأخذ بمنهجهم ، والاجتهاد في إحياءه ونشرِه بين النّاس، فالله سُبحانه وتعالى في هذه الآيَة ضَمِنَ أنّ العلم سيكون باقياً في ذريّة نوح وإبراهيم إلى يوم الدّين، وأخبرَ أنّ مَن

سيأخُذون به ويرتقون إليه بالعمل والاجتهاد والصّبر هم القلّة من هذه الذريّة (ذرية نوح، وذرية إبراهيم)، وعليه فأصحاب العلم هؤلاء لا يُقال فيهم بالنّص، كما يُقال في حقّ الأنبياء، وبنو فاطمة من مصاديق هذه الآيَة فهم بقية ذريّة إبراهيم ونوح صلوات الله عليهما، ففيهم إرثُ الكتاب، أي إرث العلم والحقّ والدّعوة والهُدى، وما قيلَ في الذراري الماضية يُقال فيهم، فمنهُم من سيبلغ به تكليفه للاجتهاد والصّبر والعلم والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر فيكون إماماً يُقتدى به (كما مرّ بيان هذا مُفصّلاً)، ومنهم الظّالمون لأنفسهِم بالمعاصي، وباتّباع غير سبيل وإجماعات الآباء .

إن قيل: ثمّ أخبرونا عن قول الله تعالى: ﴿ **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾، فقد قُلتم إنّ هذا اصطفاء عامّ من الله تعالى لجميع ذريّة إبراهيم، وبعد الاصطفاء جاءَ استثناءٌ للظالمين، أفلا يكون هذا الاستثناء للظالمين من الإمامة، هو بمثابَة الاصطفاء الخاصّ الذي نسعى جاهدين لإثباته، نعني الاصطفاء الخاصّ للتسعة من الاصطفاء العامّ لعموم الذريّة .

قُلنا: أنتُم ما زِلتُم تحتجّون علينا دائماً عند محاولتكم إثبات كثير من مُعتقداكم، بأنّ الله يستحيل أن يزيدَ عباراتٍ في آيَة عبثاً، وليسَ لها خانةٌ في الدلالة، ووجودها كعدمها، ونحنُ نَقولُ لكُم ما فائدةُ وجود الاصطفاء العام، إذا وُجِدَ الاصطفاء الخاص الذي استحدثتموه من خلال نقاشِنا هذا، لماذا لم تكُن آيَة فاطر بهذا السياق: «ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا وهُم السّابقون بالخيرات»، ما فائدةُ تعميم الاصطفاء في طائفتي (الظّلم للنفس، والاقتصاد) على الذرية الفاطمية الحسنية والحسينية، مع وجود اصطفاء خاصٍّ في تسعة من ذرية الحسين وهم المختصّون بطائفة السّبق بالخيرات، فمعنى الاصطفاء العام الذي جعلهُ الله لعموم الذرية الفاطمية الحسنية والحسينية في آيَة فاطر هو إضافةٌ من الله تعالى لا معنىَ لها، (والعياذ بالله)، بل هي زيادةٌ وجودُها كعدَمها، والله المستعان، وكذلكَ القول مع قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي

جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾، كان المُفترض أن تكون هذه الآيـة بـدون إضـافة الاستثناء للظالمين، لأنّها ستكون أبلغ في الدلالـة عـلى أنّ الذريّـة التـي يقصـدُها إبـراهيم صاحبَة الهِدايَة المُطلقَة، وأمّا بورودِ استثناء الظّالمين، فـإنّ إبـراهيم (ع) كـان يعنـي حصرـ الهُدى في الجَمِيع، فوافقه الله تعالى على أن تكون في جميع ذريّته إلاّ الظّالمين، وهذا اصـطفاءٌ عامّ ثابِت . وقد مرّ ضربُ مثالٍ على هذا . وبمعنى آخَر: لو كانَت ذريّة إبراهيم التي وافق الله على دَعوة إبراهيم (ع) فيهم هُم أناسٌ أصحابُ اصطفاءٍ خاصٍّ، بالنّص والاسـم، لمـا أصبح هُناك أي فائدة لاستثناء الظّالمين من هذه الذريّة في الآيَة، وإلاّ لزمَ أن يكـون واحـدٌ أو أكثر مِن ذريّة إبراهيم أصحاب الاصطفاء الخاص والنّص بالاسـم ينطبـق عليـه صـفة الظّلم، فيستثنى من الإمامة، وهذا مُتناقِض، فقولُكم إخوتنا الجعفرية بالاصطفاء الخـاصّ من الاصطفاء العام، أولاً: هُو قولٌ حادثٌ جديد، لأنّكم أصـلاً لا تؤمنـون إلاّ باصـطفاء واحِد، ولا تُسمّونه لا خاصّاً ولا عاماً، كما أنّكم لا تؤمنون بـما يُسـمّى بالاصـطفاء العـام لجميع ذريّة الحسن والحسين . وثانيا: أن قولَكم بالاصطفاء الخاصّ من الاصـطفاء العـامّ يُعرّي بعض آيات كتاب الله تعـالى عـن الفائـدة، ويجعلُهـا زيـادةً وجودهـا كعَـدَمِها، كـما تقدّم بيانه . ثالثاً : أنّكم بحاجَة إلى قول مَعصومٍ في هذا الموطِن من الخِلاف لتقطَعـوا عـلى ما هذبتُم إليه ، بناءً على قاعدتكُم .

هذا وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين .

١٠/ ٥/ ١٤٢٨هـ

**** تمّ بحمد الله تعالى ****